

دار القديس يوحنا الحبيب للنشر
الخطيئة الأصلية
والخطايا الفعلية
تأليف
دكتور / موريس تاوضروس
إستاذ العهد الجديد بالكلية الأكليريكية
القاهرة
www.protectors--faith.vom

الخطيئة الأصلية

والخطايا الفعلية

للدكتور موريس تاوضروس

استاذ العهد الجديد بالكلية الإكليريكية

بالقاهرة

اســم الكتــاب : الخطيئة الأصلية والخطايا الفعلية

المـــــؤلـــف : الدكتور موريس تاوضروس

الطـــبعـــة : الأولى . ١٩٩٤

الجمع التصويرى : دار القديس يوحنا الحبيب للنشر ت : ٢٤٤٨٦٧٢
والنـــشـــر : ١ شارع تيمور - سانت فاتيما - مصر الجديدة

المطـــبعـــة : سامح للأوفست ت : ٤٥٤٤٦٠٩

التـــوزيـــع : مكتبة الرجاء ت : ٢٤٤٥٧٧٤

١٨٦ شارع النزهة - سانت فاتيما مصر الجديده

رقــم الايــداع : ٣٥٩٩ / ٩٤



البابا شنودة الثالث

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧

المحتويات

تمهيد

موضوع **«الخطيئة الأصلية»** من الموضوعات اللاهوتية الهامة لأنه يمثل نواة لمختلف العقائد المسيحية الأساسية والتى تتصل بالإنسان فى حالته قبل السقوط ، وفى سقوطه ، وفى النتائج المترتبة على هذا السقوط . وبذلك ترتبط الخطيئة الأصلية ارتباطاً جوهرياً بعقيدة التجسد والفداء .

ونهدف بهذه الدراسة أن نكشف **أولاً**: عن الإختلاف فى مفهوم الخطيئة الأصلية بين الكنائس البروتستانتية والكاثوليكية والأورثوذكسية ، **وثانياً** : بالنسبة للعقيدة الأورثوذكسية ، نقصد إلى إستكمال بعض النقاط التى لم تتناولها المكتبة العربية .

الباب الأول

١ـ الإنسان بوجه عام (طبيعته ومكوناته) .

٢ـ الخطيئة الأصلية بوجه عام :

أ ـ من حيث أصلها وحقيقتها .

ب ـ من حيث جوهرها

جـ ـ من حيث القصاص والنتائج المترتبة عليها .



١ـ الإنسان بوجه عام

طبيعته ومكوناته

كحالة وسط بين العالم الطبيعى والعالم الروحى ، خلق الإنسان من نفس وجسد . وقد جاء وضع الإنسان كخاتمة وفى نفس الوقت كذروة وتاج للمخلوقات . فهو من ناحية ، يرتبط بالعالم الطبيعى من جهة الجسد الترابى ، ومن ناحية أخرى ينتسب إلى العالم الروحى من جهة بدئه الروحى ، فهو يلخص فى ذاته ويبرز أو يظهر العالم الكبير ، ولذلك يعتبر الإنسان عالماً صغيراً . على أن وضعه المتميز فى العالم ، يظهر على الأخص فى الأسلوب الخاص الذى خلق به الإنسان مغايراً فى ذلك لجميع المخلوقات الأخرى . فبينما أن جميع الحيوانات خلقت نفساً وجسداً من عناصر أرضية ، بأمر إلهى ، فبالنسبة للإنسان ، خلق جسده من التراب ، ثم نفخ الرب فيه نسمة حياة (النفس) وكونه كائناً أو مخلوقاً حياً **«وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ، ونفخ فى أنفه نسمة حياة ، فصار آدم نفساً حية»** (تك ٢:٧) . وخلقت المرأة من ضلع من أضلاع آدم **«فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام ، فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً . وبنى الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة ، واحضرها إلى آدم . فقال آدم : هذه الآن عظم من عظامى ، ولحم من لحمى ، هذه تدعى امرأة لأنها من «امرء أخذت»** (تك ٢:٢١) .

ومن كل هذا تتبدى لنا العلاقة الوثيقة التى تربط الإنسان بالأرض وبالله ، وما تميزت به طبيعته الجسدية والروحية ، فقد أخذ جسده وأخذ نفسه بفعل إلهى خاص ـ وليس كسائر

الحيوانات . ومن ناحية أخرى ، فإن هذا التكوين الإنسانى بهذه الصورة التى أشرنا إليها - يعلى من ناحية من شأن الإنسان ، ومن ناحية أخرى ، فإنه يأخذ اتجاهاً مضاداً لما تقول به المذاهب الفكرية التى تخطىء فهم العلاقة بين الروح والجسد ، أو التى لا تدرك حقيقة التكوين الإنسانى - وتفسر كيانه تفسيراً خاطئاً .

فالفهم المسيحى السليم للإنسان ، أنه يتكون من الروح والبدن . وكلاهما معاً فى وحدة وتنسيق وانسجام وترابط وثيق ، يكونان الإنسان . والخطأ كل الخطأ - أن ينظر إلى الإنسان من ناحية واحدة فقط ، سواء كانت الروح أو المادة ، وكأن هذين العنصرين ، يوجدان فى حالة صراع ، فيتغلب الواحد منهما على الآخر ويقضى عليه . ولذلك فإن الفهم المسيحى للإنسان يتعارض مع المذاهب التالية :

١ - المذهب الروحانى Spiritualism

٢ - المذهب المادى Materialism

٣ - المذهب الداروينى Darwinism

١ - المذهب الروحانى Spiritualism

إذا كان هذا المذهب ينظر إلى الإنسان على أنه يتكون من روح وبدن ، إلا أن خطأه قائم فى فهم العلاقة بين الروح والبدن ، فهو ينظر إلى البدن على أنه سجن للروح ، ويضع تعارضاً كيانياً بين هذين العنصرين ، ويقيم بينهما ثنائية صارخة .

٢ - المذهب المادى Materialism

ويرى أن الإنسان برمته - مثل أى شىء آخر فى الكون - كيان فيزيائى بحت . وينظر إلى الكون على أنه مؤلف من جسيمات مادية ، تتحرك فى الخلاء أو المكان . كما ينظر إلى أى زعم

بأن الإنسان له روح أو عقل على أنه خرافة . وتنسب حقيقة قيام الإنسان بأفعال مثل الكلام أو الإستدلال إلى مخه وجهازه العصبى الشديد الإرتقاء (أنظر : جون . ر. بورر . وملتون جولدينجر : الفلسفة وقضايا العصر - الجزء الثانى - ترجمة د. أحمد حمدى محمود - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٠ ص ٩٤) .

فالمذهب المادى هو نقيض للمذهب الروحانى ويفسر كل الأشياء بالأسباب المادية ، فالمادة وحدها هى الجوهر الحقيقى ، الذى به تفسر جميع ظواهر الحياة وجميع أحوال النفس . ويطلق المذهب المادى فى علم النفس على القول بأن جميع أحوال الشعور ظواهر ثانوية - ناشئة عن الظواهر الفيزيولوجية المقابلة لها . وفى علم الأخلاق ، فالمذهب المادى هو القول بأن غاية الحياة هى الإستمتاع بالخيرات المادية وحدها (جميل صليبا - المعجم الفلسفى - المجلد الثانى - دار الكتاب اللبنانى - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٧٣ ص ٣٠٩) .

أما كون النفس ليست مادية ، فتبدو من الأدلة التالية :

+ إن العقل الإنسانى نتج عن مصدر روحى لا مادى ، فهو يقبل الصور المختلفة ، بحيث يكون مهندساً ونجاراً وبناء ، فى وقت واحد ، دون أن تمحو الصورة الثانية الأولى ، ولا الثالثة تلاشى الثانية . بيد أن المادة إذا قبلت صورة لا يمكنها أن تقبل غيرها إلا بمحو الأولى . هذا فضلاً عن أن الذى يتصوره منذ طفولته من تلك العلوم والصنائع يبقى معه إلى أن يصير شيخاً . فلو كان ذلك الشىء الذى نقش فيه ذلك العلم جسما ، لكان قد ذهب مع ما تحلل من جسمه من عهد الطفولة إلى حد الشيخوخة .

+ إذا سرحنا الطرف فى يدنا ومادة دماغنا ، وباقى الأعصاب والعضلات والأضلاع ، لما رأينا فيها ما يفتكر ويتصور ويأمر وينهى . بينما أننا نرى فى الإنسان أفكاراً وأحكاماً وتصورات عقلية ، فهو يتذكر الماضيات ويتفكر فى الحاضرات ويتصور المستقبلات ، ويتروى فى

قضايا خفية لم تظهر بالفعل ويميزها ويحكم على نتائجها قبل وقوعها ، مع أن المادة جامدة ساكنة لا تفتكر ولا تتصور. ناهيك بالسرور والإكتئاب الذى يستولى على الإنسان أحياناً بسبب تلك التصورات ، وذلك لا يمكن أن يكون منبعثاً إلا من نفس روحية عاقلة حكيمة ، لأن المادة لا تستطيع أن تعطى منحة فوق طورها ، ولا أن تهب الإنسان هبة لا علاقة لها بالحواس مطلقاً .

+ إن للإنسان صفات أدبية عجيبة تدل فى صدورها على أنها ليست من مادة ، بل من نفس روحية ذات عقل وضمير وإرادة وعواطف كحب الخير وكره الشر وتفضيل الحياة الباقية على الحياة الفانية وإصلاح المسيرة والسريرة ، والندم على إتيان الشرور والمنكرات ... وما إلى ذلك من الصفات التى لا يمكن أن تكون جسدية البتة .

+ فى الإنسان قوتان متضادتان ، الأولى تستهويه إلى فعل الصلاح والأخرى تقاومه . ولو كان الإنسان مركباً من عنصر واحد هو المادة ، لما استطاع أن يقاوم أهواءه الجسدية ، ولما حدثت تلك الحرب الشعواء فى داخل الإنسان بإستمرار وبلا انقطاع (الا يغومانس ميخائيل مينا - علم اللاهوت - المجلد الثانى - ١٩٣٦ - ص ١٥٥ - ١٦٦) .

٣ - المذهب الداروينى Darwinism

وهى مذهب التحول أو التبدل Transformism ، وهو القول بأن الأنواع تنشأ بعضها عن بعض ، ولا سيما النوع الإنسانى ، فهو منحدر من الأنواع الحيوانية التى ترجع إلى أصل واحد أو عدة أصول (جميل صليبا : المرجع السابق - المجلد الأول - بيروت ١٩٧٨ ص ٥٥٦) .

فالداروينية ترد أصل الإنسان إلى الحيوان ، فلا تمييز بين الإنسان والحيوان إلا من حيث الدرجة . ولما وجد القائلون بهذه النظرية أن علم الحفريات لم يكشف عن طريق التسلسل ، البرهان المادى القاطع ، الذى يصل بين نسب الانسان والقرد ، فقد حاولوا أن يفسروا هذه

الحلقة المفقودة ، فى ذلك الحيوان الوهمى ، الذى يتصور الداروينيون وجوده بين القرد والإنسان ، ليكون حلقة إتصال بينهما ، لما رأوه من الفرق الكبير بينهما ، فكأنهم بذلك قد اقتنعوا ، إن القرد لا يصلح أباً للإنسان ، لما يوجد بينهما من بون شاسع وخلاف واضح . فهم يبحثون فى الأرض كلها عن حيوان أرقى من القرد وأدنى من الإنسان ، فيسد الثغرة التى بينهما . ولما لم يجدوه على سطح الأرض خيل لهم أنه باد وهلك ، فذهبوا يفتشون عنه فى باطن الأرض . ومنذ قيام الداروينية وهم يفتشون بلا جدوى (تكلا رزق : روحانية العلم أو فلسفة العلم والدين ـ المطبعة التجارية الحديثة ص ٢٨٠ ، ٢٩١) .

«ولو وازنت بين عقل الإنسان وبين عقل أعظم حيوان ، لوجدت تفاوتاً سحيقاً بينهما . وليس هناك من سبب صحيح لهذا التفاوت العظيم إلا لكون عقل الإنسان نتج من مصدر لا وجود له فى الحيوان . وذلك المصدر لا يمكن أن يكون سوى النفس العاقلة ، فهى وحدها دون غيرها التى منحته ذلك التمييز الكلى الذى رفعه عن مستوى سائر الحيوان . وإلا لو كان عقله نتج من غير هذا المصدر الروحى لكانت نسبة عقله إلى نسبة الأدنى منه من الحيوان ، تعادل على نوع ما نسبة هذا الأخير إلى الأدنى منه بسلسلة التنازل الحيوانى . والحال أن نسبة عقل أعظم حيوان بعد الإنسان إلى أدنى حيوان لا تذكر بالنظر إلى نسبة عقل الإنسان إلى ذلك الحيوان الأعظم . نعم ليس من ينكر أنه قد تصدر عن بعض الحيوانات أمور تدل على أنها ذات تفكير وتصور ، كالأعمال التى تصدر من القردة والكلاب والجرذان وأمثالها . وما مثل الحيوانات فى ذلك إلا كمثل الجمادات التى تعمل عملها لا لحكمة عندها ، بل بقوة طبيعية أودعت فيها ، كجذب المغنطيس للحديد ، والتحام أحدهما بالآخر حيثما وجدا ، بيد أنه لا فضل لهما أو لأحدهما فى ذلك ، بل الفضل كله عائد على من خصهما بهذا الميل الغريزى . وكإرتفاع اليد إلى العين لحمايتها عند حدوث مؤثر فجائى ، مع أن ذلك العمل من اليد لم يكن مسوقاً بتصور قصدى أدبى ، بل ناشئاً عن طلب الطبيعة لدفع ذلك الضرر» .

(الايغومانس ميخائيل مينا ـ المرجع السابق ـ ص ١٥٦ ـ ١٦١) .

«والذين يقولون أن أصل الإنسان والحيوان واحد ، بل ويقولون أن الإنسان متطور من الحيوانات ، يعفون الإنسان من مسئوليته فى حياة القداسة . والذين يصدقون هذا الكلام يقولون أن الإنسان مخلوق لكى يعيش بالفطرة وإن إشباع الغرائز هو الطريق الوحيد ، بل وإن حديث السيد المسيح عن طهارة العين والقلب وعدم الغضب نظرى لا يتفق مع طبيعة الإنسان كحيوان» .

(أمير البير حنا : العلم والدين ـ سيدنى بإستراليا ـ ١٩٩٣ ـ ص ٧) .

نعود فنقول :

يتكون الإنسان من جسد ونفس . وحسب تعليم الكتاب المقدس ، فلقد خلق أولاً الجسد من التراب ، ثم خلقت النفس بنسمة من الله .

على أنه من الأمور الواضحة ، أن كلمات الكتاب المقدس ، لا يجب أن تفهم كما لو أن الإنسان قد خلق على مرحلتين متتاليتين ، فخلقت النفس بعد أن خلق الجسد أو بعد أن تمت خلقة الجسد . ولكن المقصود ـ كما يشير إلى ذلك كثير من اللاهوتيين ـ الإشارة إلى توضيح العلاقة القائمة بين النفس والجسد . فليس الجسد على نحو ما كانت تنظر إليه الفلسفة اليونانية سجناً للنفس ، بل إن الجسد أساسى ولازم للإفتراض المسبق للحياة الروحية . وعلى ذلك فمن الخطأ أن تفهم الحياة الروحية على أنها تقوم أساساً على تخليص النفس من الجسد كما لو أن الجسد عنصر شرير فى ذاته كما افترض بعض الفلاسفة ، فهو عندهم لا يشارك فى الحياة الروحية ولكن المسيحية ـ فى ضوء تعاليم الكتاب المقدس ـ ترى أن الجسد ، هو جهاز إلهى للروح الإنسانية يتحد معها اتحاداً أبدياً (أنظر ١كو ١٥: ٤٤ ـ ٥٠) .

فالجسد خلقه الله ويشارك فى جميع أعمال الرب الخلاصية التى تمت فى التجسد ، منذ

الميلاد حتى القيامة من الأموات . وأما بالنسبة للنفس ، فإنها نسمة حياة من الله ، ولكن ليس بمعنى أنها صدرت كفيض من روح الله ، أو أنها جزء من طبيعة الله ، ومن ناحية أخرى فهى قوة حياة الجسد (القوة التى تحيى الجسد) . كذلك فهى أداة ربط الإنسان بالله وبالعالم الروحى .

وكما أشرنا سابقاً ، فإن المذهب المادى ينكر وجود النفس ، ويفسر الظواهر النفسية كما لو أنها ظواهر بدنية ، وينزل بالإنسان إلى مملكة الحيوان . وهكذا يعجز المذهب المادى عن تفسير الوحدة القائمة فى الضمير على الرغم من تغير مادة الجسد .

على أنه يشار فى بعض الأحيان ، إلى الروح ، متميزة عن النفس . جاء فى ١تس ٥:٢٨ «وإله السلام نفسه يقدسكم بالتمام ولتُحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجىء ربنا يسوع المسيح» .

وجاء فى عب ٤:١٢ «لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح» .

على أن هذا التمييز لا يعنى مطلقاً ، ان الإنسان يتكون من ثلاثة عناصر : الجسد والنفس والروح . إن مثل هذا التفكير لا نجد ما يدعمه فى تعاليم الكتاب المقدس . ففى الكتاب المقدس يمكن أن يحدث تبادل بين النفس والروح ، فالواحدة تستخدم كبديل للأخرى . وهكذا يشار إلى أن الإنسان يتكون من نفس وجسد ، أو من روح وبدن . فالنفس والجسد ، أو الروح والجسد يشيران إلى كمال تكوين الإنسان .

فالإنسان يقال أنه **نفس وجسد** :

«لاتخافوا من الذين يقتلون الجسد ، ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها بل خافوا بالحرى من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما فى جهنم» (مت ١٠:٢٨) .

أو يقال أنه **روح وجسد** :

«فإنى أنا كأنى غائب ولكن حاضر بالروح قد حكمت ... أن يسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكى تخلص الروح فى يوم الرب» (١كو ٥:٣) **«لأنكم قد اشتريتم بثمن ، مجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله»** (١كو ٦:٢٠) .

«غير المتزوجة تهتم فيما للرب لتكون مقدسة جسداً وروحاً» (١كو ٧:٣٤) **«لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت هكذا الإيمان أيضاً بدون أعمال ميت»** (يع ٢:٢٦) .

كذلك فإن أرواح الأموات ، تسمى أيضاً نفوس الموتى (مت ٢٧:٥) .

أما كيف تفهم الإشارة إلى النفس منفصلة عن الروح (كما جاء فى ١تس ٥:٢٨ ، عب ٤:١٣) ، فإن المقصود بهذا التمييز بين النفس والروح ، هو التمييز فى الإنسان الباطن بين اتجاهين أو مجالين ، بين الإتجاه الأدنى الذى تمثله النفس ، والإتجاه الأسمى الذى تمثله الروح . وبمعنى آخر ، فعندما يشار إلى هذا العنصر غير المادى فى الإنسان ، فى إرتباطه المباشر بالجسد كقوة حيوية لحياة الجسد تشير إلى وظائف الجسد ، عند ذلك يسمى بالنفس . وأما عندما يشار إلى هذا العنصر غير المادى فى الإنسان فى وظيفته الفكرية والروحية ، عند ذلك يسمى بالروح . كذلك فإن التمييز بين النفس والروح يبدو فى المعنى الأخلاقى للكلمتين . فالإنسان عندما ينحدر إلى الأرضيات ولايرتفع إلى السمو الروحى ، يسمى «نفسانى» Psychikos **«هؤلاء هم المعتزلون بأنفسهم ، نفسانيون لا روح لهم»** (يه ١٩) . وعلى عكس ذلك ، فإن الإنسان الذى يحيا حياة روحية ملهمة ومستنيرة بروح الله القدوس ، يسمى بالروحى Pneumatikos **«ولكن الإنسان الطبيعى لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة ، ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يحكم فيه روحياً . وأما الروحى فيحكم فى كل شىء وهو لا يحكم فيه من أحد»** (١كو ٢:١٤ ، ١٥) .

ومن العقائد الأساسية فى الكنيسة المسيحية ، أن الجنس البشرى ، يرد فى أصله إلى «آدم وحواء» . هذه العقيدة يشهد بها الكتاب المقدس ، وهى أيضاً الإفتراض اللازم والسابق للخلاص (أنظر :تك ٣: ٢٠ ، ٢: ٧ ، ٢١ ، أع ١٧: ٢٦ ، رو ٥: ١٢ - ١٨ ، تك ٣: ٢٠) . أما الإختلاف بين البشر ، فإنه يرد إلى إختلاف الطقس ، والطعام ، وأسباب أخرى مشابهه . ويشهد على وحدة الجنس البشرى ، أن جميع لغات العالم - فيما يقول علماء اللغة - ترد إلى لغات ثلاثة . وهذه اللغات الثلاثة ليست غريبة الواحدة فيها عن الأخرى ، مما يجعلنا نفترض أن جميع لغات العالم ترد إلى لغة واحدة . وهذا أيضاً ما يؤكده الكتاب المقدس .

إن آدم رأس الجنس البشرى ، قد أعطى جوهر وجوده لكل فرد من أفراد البشر . فبالنسبة للجسد ، أعطى آدم جسده للبشر بالتناسل ، وهذا أمر يتفق فيه جميع اللاهوتيين . وأما بالنسبة للنفس ، فقد إختلفت الآراء فى فهم الصلة بين نفس آدم ونفوس البشر . وتمخضت عن إختلاف الآراء أربع نظريات ، أشرنا إليها فى الجزء الثانى من دراساتنا فى علم اللاهوت (أنظر ص ١٤٢ ، ١٤٣) ، وهى :

١ - نظرية وجود النفس وجوداً سابقاً .

٢ - نظرية إنبثاق النفوس .

٣ - نظرية الخلق (أى أن الله يخلق لكل إنسان نفسه أو روحه عند الحبل به) .

٤ - نظرية التناسل (أى أن الروح والجسد ، كلاهما يتناسل تناسلاً طبيعياً . فنفوس الأبناء تتوالد عن نفوس الآباء) [1] .

وقد رجحنا *النظرية الرابعة للأسباب التالية :*

أ - هذه النظرية تؤكد وحدة الجنس البشرى ، وتصعد بنا إلى آدم وحواء ، كأصل للجنس البشرى . وعلى هذا الأساس تقوم نظرية الخلاص .

---

(١) أنظر كتابنا : علم اللاهوت العقيدى - الجزء الثانى - مكتبة أسقفية الشباب ١٩٩١ - ١٤٢ ، ١٤٣ .

ب ـ هذه النظرية تفسر منشأ الخطية الأصلية ، وإنتقالها من آدم إلى نسله .

جـ ـ تتفق هذه النظرية مع ناموس الولادة للموجودات الطبيعية الأخرى ، والذى بحسبه ، كل كائن يلد كائناً من نفس جنسه .

د ـ كذلك تتفق هذه النظرية مع ناموس النمو البشرى ، فالروح تنمو فى تواز مع الجسد .

هـ ـ الكتاب المقدس يؤيد هذه النظرية ، حيث جاء فى سفر التكوين **«وعاش آدم مائة وثلاثين سنه ، وولد ولداً على شبهه كصورته ودعا إسمه شيثاً»** (تك ٥: ٣) .

و ـ تعبر هذه النظرية عن حكمة الله ، فلقد خلق الموجودات مرة واحدة ، فلا يحتاج الأمر لخلق جديد ، بل إلى النعمة الإلهية تتعاون وتحفظ الخليقة .

ولقد خلق آدم مزوداً بكل الإمكانات الطبيعية والروحية اللازمة للوصول به إلى ملء الكمال الذى أعده الله له . ويعبر الكتاب عن سمو الوضع الذى خلق عليه الإنسان ، فيشير إلى أن الله خلق الإنسان على صورته وشبهه وسلطه على المخلوقات . فيقول الكتاب **«قال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ، فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض»** (تك ١: ٢٦، ٢٧) . والسؤال الذى ينشأ بالضرورة : ما المقصود بالصورة والشبه ؟

بلا شك لا يمكن أن يقصد بالصورة هذا الجانب المادى من الإنسان . ولكن يبقى السؤال قائماً : ماذا نقصد عندما نقول أن الصورة والشبه يتمثلان عند الإنسان فى جانبه الروحى ؟ إن ما يجب أن نؤكده هنا ، هو أن الجانب الروحى فى الإنسان يحمل معنى الصورة والشبه فقط فى حالة واحدة وهى ؟ عندما يتجه الإنسان بقواه الروحية نحو الله ، أى عندما يرتبط الإنسان «كصورة» بالله «كأصل لهذه الصورة» . ولذلك فمن الخطأ أن نقف فى تحديد الصورة بالقول أنها تتمثل عند الإنسان فيما يتمتع به من عقل وحرية . فالعقل والحرية مما

يتمتع به الإنسان ، يمثلان صورة الله فى حالة واحدة فقط ، وهى : عندما يتجه الإنسان بعقله وحريته نحو الله ، ويستخدمهما فى خدمة الحياة الروحية وتحقيق الفضيلة الأخلاقية . فهذه العناصر الروحية فى الإنسان تمثل صورة الله ، عندما يكون لها الموقف الإيجابى تجاه الله وتجاه الفضيلة .

وأما كون أن صورة الله فى الإنسان تتمثل أيضاً فى سلطته على الطبيعة وعلى الكائنات الحية فهذا يبدو من قصة الخلق فى سفر التكوين ، حيث يرتبط الحديث عن خلقة الإنسان حسب صورته وشبهه ، بالحديث عن تسلط الإنسان على الطبيعة وعلى الكائنات الحية . وهذا أيضاً ما لاحظه القديس يوحنا ذهبى الفم (أنظر : Chrys. Gen. Homil. 9) .

وهذه الإمكانيات التى خلق بها الإنسان ، هى التى حققت له الإنسجام الكامل مع الله من ناحية ، ومع الطبيعة من ناحية أخرى . فأما من جهة الطبيعة ، فهى تخضع للإنسان وهو يسود عليها ، وكذلك الجسد يعيش فى إتساق مع الروح ويحقق للإنسان الحياة الروحية . وأما من جهة الله ، فإن الله بالنسبة للإنسان يمثل محور تفكيره ورغباته وتطلعاته ومحبته . فإذا حاولنا فى لغة لاهوتية أن نعبر عن هذه الحالة التى كان عليها الإنسان قبل السقوط ، نقول أن صورة الله تشير إلى طبيعة الإنسان الروحية والأخلاقية فى إتجاهها نحو الله ، وإلى السلطة على الطبيعة وإلى عدم معاناة الجسد وإلى خلوده وإلى معرفة الله وإلى بر الإرادة البشرية وهو ما يعرف بالبر الأصلى (Justitia originalis) .

على أننا نعود فنقول ، إن هذه الإمكانيات الإنسانية المتميزة التى تمتع بها الإنسان الأول ، قد اعطيت له تحت شرط الطاعة ، وبذلك كان من الممكن أن يفقدها إذا فقد الإلتزام بهذا الشرط . كذلك أعطيت له ليسير بها فى طريق الكمال والنمو ، وليس كمن بلغ فيها اسمى درجة من الكمال والنمو بحيث لا يحتاج إلى مزيد ، فالجسد كان من الممكن أن يخلد ولا يموت

وذلك إذا لم يخطىء ، ولكنه لم يكن من الممكن له أن لا يموت إذا أخطأ . كان الموت للجسد هو عقاب على خطية . كذلك فإن معرفته لله وللعالم لم تكن على مستوى الحكمة الكاملة التى لا تقبل المزيد ، وعلى الأخص فإن قواه الأخلاقية تحتاج إلى النمو وإلى التقوية حتى يثبت الإنسان فى عمل الخير وينفر من عمل الشر وتكون له مشيئة الملائكة . إن إرادة الإنسان الأول كانت بلا شك تتجه نحو الله ونحو عمل الخير ، ولكن لا بمعنى أنها لا تمتلك القوة على عمل الشر ، أو تنعدم منها القوة على عمل الشر .

كذلك من الأمور البينة ، أنه من أجل تقوية الإمكانيات الأخلاقية ، فإن الأمر يحتاج بالضرورة إلى النعمة الإلهية ، والتى هى من حيث أنها الرباط الذى يربط بين الله غير المحدود ، والإنسان المحدود المعرض للتجربة ، هذه النعمة الإلهية لا يمكن الإستغناء عنها أيضاً فى الفردوس . وعلى ذلك يمكن القول أن حالة الإنسان الأول ، رأس الجنس البشرى ـ حسب هذا الذى قلناه ـ ليس هى حالة من الكمال الطبيعى فى البر والقداسة ، لآن الفضيلة والطبيعة أمران متناقضان ، ولم تكن أيضاً حالة الإنسان الأول هى حالة من عدم المبالاة (اللامبالاة أو عدم الإكتراث) أو حالة عدم الخبرة أو قلة الخبرة الطفولية كما يزعم العقليون ، ولكنها حالة الإستقامة والبر .

فإذا حاولنا الآن أن نحدد وضع الإنسان الأول الأخلاقى ـ كما خلقه الله ـ من بين الإتجاهات الثلاثة التالية :

١ ـ اللامبالاة الأخلاقية .

٢ ـ الإتجاه نحو الشر .

٣ ـ الإتجاه نحو الخير .

كان علينا بلا شك أن نؤكد الوضع الثالث .

إن اللامبالاة ، مؤشر ، أو على الأقل تقود مباشرة إلى الشر ، لأنها تضع مطالب العقل فى وضع متساو إزاء أهواء الجسد ، أى أن العقل لا يفاضل بين أهواء الجسد ، ولا يميز الواحد منها عن الآخر . وفى مثل هذه الحالة من عدم الإكتراث ، بينما من ناحية لا يكون العقل بعد قد بدأ يختار ، فإن الجسد ، من ناحية أخرى بالطبيعة يكون غير مضبوط بإحكام ، يكون معرضاً لأن ينزلق فى مهاوى الرذيلة . ومن ناحية ثالثة ، فإذا قلنا عن الإنسان أنه خلق فى حالة من البر والإستقامة ، لأنه خلق على صورة الله ، فإننا لا يجب أن نفهم من ذلك أن الإنسان خلق على حالة من الكمال التام فى البر والقداسة وهذا هو الرأى الذى قال به القديس أوغسطينوس وأخذ به عنه البروتستانت ، وهو رأى لا يجد له سنداً لا فى الكتاب المقدس ولا فى التقليد ، بل ويجعل من المستحيل علينا أن نفسر كيف سقط آدم فى الخطيئة .

إن الكتاب المقدس عندما يتحدث عن خلق الإنسان لا يشير إلى أنه قد خلق فى حالة الكمال الروحى أو الفكرى المطلق .

حسب الكتاب المقدس ، فإن حالته الأصلية كما يتبين لنا مما قاله سفر التكوين فى ١ :٣١ [١] ، ٢ :٢٥ [٢] ، لا يمكننا أن نستنتج أن آدم خلق فى حالة مطلقة من الكمال الأخلاقى والفكرى . إن تك ١ :٣١ - لا يتحدث عن الكمال الأخلاقى والفكرى للإنسان بل يشير إلى أن حالة الإنسان الأولى قد صيغت وشكلت بحيث تلائم الغاية التى خلق من أجلها الإنسان . وتك ٢ :٢٥ أيضاً لا يشير إلى الكمال المطلق للإنسان الأول ، بل إلى حالة البر التى خلق عليها الإنسان قبل التفتح الأخلاقى لقواه . ثم أن أفسس ٤ :٢٤ [٣] ، لا يشير إلى آدم

(١) «ورأى الله كل ما عمله ، فإذا هو حسن جداً» (تك ١ :٣١) .

(٢) «وكان كلاهما عريانين آدم وإمرأته ، وهما لا يخجلان» (تك ٢ :٢٥) .

(٣) «وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق» (أف ٤ :٢٤) . وقبل ذلك قال «أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور ، وتتجددوا بروح ذهنكم» (أف ٤ :٢٣) .

كمال نسبيا ليس كمال تام

الأول ، بل إلى الإنسان الجديد كما يتضح من (١كو ١٥:٤٥ـ ٤٩)[1] .

إن الرسول بولس ، فى ١كو ١٥:٤٥ـ ٤٩ يميز بين الإنسان الأول ـ كإنسان ترابى ، تقوم حياته على أسس طبيعية ، وبين آدم الثانى الذى منه يبدأ ملكوت الروح . وهكذا يمكننا أن نستنتج بوضوح ، أن على الإنسان الأول أن ينمى إمكانياته لكى يصير روحانياً ، وهو أمر لم يكن من الممكن أن يحققه بسبب الخطية ، ولكنه يتحقق فى المسيح يسوع . ومن أجل ذلك ، فإن الآباء يؤكدون بكل قوة نسبية الكمال الذى خلق عليه الإنسان الأول ، ويقارنون فى تعاليمهم بين الحياة على مستوى آدم الأول ، وبين الحياة فى المسيح ، كذلك يميزون بين «حسب الصورة» ، «وحسب الشبه» . وعندما يقارن الآباء بين الخلقة والفداء ، فإنهم يرون بوجه عام أن الفداء بالمسيح هو استحضار وإعادة بناء صورة الله فى الإنسان . فالقديس غريغوريوس النيسى يقول أن نعمة القيامة ليست إلا إعادة الإنسان إلى حالته الأصلية . (apokatastasis)[2]، وعلى الأخص عندما يقارنون بين الخلقة والفداء ، فإنهم يشددون على القول بأن حالة الإنسان الأول فى الفردوس لم تكن كاملة ، ولكن كان ينقصها هبة البنوة والحياة الروحية فى المسيح وهى التى صارت لنا فيما بعد بالفداء . وفى هذا يقول القديس أثناسيوس الرسولى :

فإن الله لم **يخلقهم بشراً فقط** ، بل دعاهم أيضاً **أبناء** لأنه **ولدهم** .

لأن لفظ **ولد** له معنى هام . لأنه يشير إلى ابن ، كما قال بواسطة النبى **«ولدت بيننا ونشأتهم»** (اش ١:٢) . وعموماً فإن الكتاب عندما يريد أن يشير إلى **«ابن»** ، يعبر عنه ليس بواسطة لفظ **«خلقت»** ، بل حتماً بواسطة اللفظ «ولدت» ، ويتضح هذا من قول يوحنا **«أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنون بإسمه ، الذين ولدوا**

---

(١) «هكذا مكتوب أيضاً ـ صار آدم الإنسان الأول نفساً حية ، وآدم الأخير روحاً محيياً . لكن ليس الروحانى أولاً بل الحيوانى وبعد ذلك الروحانى . الإنسان الأول من الأرض ترابى ، الإنسان الثانى الرب من السماء . كما هو الترابى هكذا الترابيون أيضاً ، وكما هو السماوى هكذا السماويون أيضاً . وكما لبسنا صورة الترابى سنلبس أيضاً صورة السماوى» (١كو ١٥:٤٥ـ ٤٩) .

(2) Greg. Nys. , Katask. Anthr. 17, Migne 44, 188

ليس من دم ، ولا من مشيئة جسد ، ولا من مشيئة رجل ، بل من الله» (يو ١: ١٢-١٣) . وهذا النص واضح ، لأنه حين يذكر عبارة **«أن يصيروا»** يقول إن **هؤلاء أبناء ليس بحسب الطبيعة بل بحسب التبنى** . ثم يقول **«ولدوا»** لأن هؤلاء قد حصلوا على لقب ابن بالكامل . ولكن الشعب كما يقول النبى تمرد على الذى فعل معه الخير (عن إش ١: ٢) "**فهذه هى محبة الله للبشر أنه بالنسبة لأولئك الذين صنعهم ، فقد صار لهم أباً أيضاً بعد ذلك بحسب النعمة . وقد صار لهم أباً - كما قال الرسول - عندما حصل الناس المخلوقون على «روح ابنه فى قلوبهم صارخاً : يا أبا أيها الآب»** (غل ٤: ٦) . فهؤلاء هم الذين قبلوا الكلمة ونالوا منه سلطاناً أن يصيروا أبناء بأية طريقة أخرى ، إلا بأن يتقبلوا روح الإبن الحق بالطبيعة . لذا ، فلكى يحدث هذا ، فقد **«صار الكلمة جسداً»** لكى يجعل الإنسان قادراً على تقبل الألوهية . ويمكن أن نتعلم هذه الفكرة أيضاً من ملاخى النبى الذى قال **«ألم يخلقكم إله واحد ؟ أليس لكم أب واحد»** (مل ٢: ١٠ سبعينية) . وهنا أيضاً وضع **أولاً «خلق»** ، **وثانياً** لفظ **«أب»** لكى يثبت هو أيضاً **أننا كنا منذ البدء مخلوقات** ، وإن الله هو خالقنا بواسطة الكلمة **وبعد ذلك جعلنا أبناء** - وهكذا صار الله الخالق هو أبونا أيضاً . لهذا فنحن لم «نولد أولاً» بل صنعنا» كما هو مكتوب «لنصنع إنساناً» ، وبعد ذلك بواسطة قبولنا نعمة الروح قال «إننا نولد» . لهذا فإن موسى العظيم قال بمعنى جيد فى أنشودته ، أولاً : «أوجد» وبعد ذلك «ولد» لئلا عند سماع لفظ «ولد» ينسون طبيعتهم من البداية ، وبهذا يعرفون أنهم من البدء مخلوقات وعندما يقال أن الناس يولدون كأبناء بالنعمة ، فإنهم مع ذلك هم أيضاً مصنوعات بالطبيعة» (ضد الأريوسيين - ٥٩:٢) - ترجمة : صموئيل كامل عبد السيد - دكتور نصحى عبد الشهيد - ١٩٨٧ ص ٩٤ ، ٩٥) .

وفى كلمات أخرى ، فإن الحياة الروحية فى المسيح ، هذه هى حالة الكمال أو نقطة الكمال

التى كان يجب على الإنسان الطبيعى ، قبل السقوط ، أن يصير إليها بحسب (١كو ١٥: ٤٥ - ٤٩) ، أى أن حالة الكمال ليست متحققة ولكنها فى طريقها إلى التحقق .

ويفرق الآباء بين الصورة والشبه . والعلاقة بين الصورة والشبه يصيغها القديس باسيليوس الكبير صياغة فلسفية ، فيلاحظ أن الصورة ليست شيئاً آخر غير الشبه بالقوة dunamei ، وأما الشبه فهو الصورة بالفعل energeia . وعلى ذلك فإن آدم خلق لكى ينمو ويتقدم فى الحياة الروحية ويصير قديساً وباراً متشبهاً بالله . وفى هذا يتعارض الفكر الأرثوذكسى مع الفكر البروتستانتى الذى يرى - كما سوف نشير إلى ذلك فيما بعد - ان الإنسان خلق كاملاً جسداً وعقلاً . ولو أن الإنسان - كما يقول البروتستانت - خلق كاملاً فكيف نفسر سقوط الإنسان وهو كلى الكمال والقداسة . ويذهب الكاثوليك إلى القول ، بأن البر الذى كان لآدم الأول ، هو هبة فوق طبيعية ، بينما يذهب البروتستانت إلى القول بأنه كائن فى التكوين الطبيعى للإنسان . وكلا الرأيين يجانبان الصواب . فالكاثوليك يربطون البر بجوهر الإنسان رباطاً خارجياً ميكانيكياً . وهذا يقود من ناحية إلى البيلاجية ، والتى بحسبها لا تفترق حالة الإنسان قبل السقوط عن حالته بعد السقوط . ومن ناحية أخرى ، يجعل الخطية الأصلية مجرد فقدان للهبات المضافة ، ويؤدى إلى القول ، بأنه منذ البداية ، لا يوجد تناسق وتناغم بين الجسد والروح ، أو أن الجسد والروح ، يوجدان من البداية فى حالة صراع . وأما البروتستانت ، فإذا كان من الصواب أنهم وضعوا البر الأصلى فى الطبيعة ، فإنهم أخطأوا فى إبعادهم النعمة الإلهية الى بها تتقوى الطبيعة البشرية ، ولا يمكن القول ، بأن الإنسان فى الفردوس ، من حيث هو تام الصلاح والبر ، ليس فى حاجة إلى نعمة الله .

وهناك من اللاهوتيين الحديثين - كما سوف نرى - من يرفض تفسير الاصحاحات الأولى من سفر التكوين على أساس تاريخى .

٢ ـ الخطيئة الأصلية بوجه عام

بحسب التعليم الأساسى للإيمان المسيحى ، فإن رأس الجنس البشرى لم يثبت فى حالة البر الأصلى التى خلق عليها . ولكنه إذ عصى وصية الله ، فإنه سقط (إنحرف ـ هبط ـ انحدر) عن هذه الحالة ، وسقط معه كل الجنس البشرى الذى تناسل منه . وهكذا فإن كل فرد من أفراد الجنس البشرى ، يحمل فى ذاته بالطبيعة خطيئة آدم (رأس الجنس البشرى) . فعندما يولد الإنسان يوجد مذنباً وتحت قصاص الله . إن مثل هذه الحالة التى فيها ـ يحبل بكل إنسان ، والتى هى حالة حقيقية من الخطيئة ولها أصلها وعلتها فى آدم ـ هى التى تسمى بالخطيئة الأصلية .

والآن نحاول أن ندرس موضوع الخطيئة فى مجالات ثلاث :

أ ـ من حيث أصلها وحقيقتها .

ب ـ من حيث جوهرها .

جـ ـ من حيث القصاص والنتائج .

أولاً : بداية وحقيقة الخطيئة الأصلية

خلق آدم فى حالة من البر الطبيعى ، وقد كان عليه أن يدفع ببره الطبيعى وطهارته إلى الكمال الأخلاقى ، وإلى الإلتزام الحر والتقدم فى الصلاح ، كما هو واضح مما أشرنا إليه سابقاً . على أن الطريق التى سوف يحقق بها الإنتقال من حالة إلى حالة أخرى ، يجب أن يكون طريق الإختبار والفحص ووضع الشروط والحواجز . وهذا الحاجز الذى سوف يصطدم به آدم ، هو الذى سوف يميز بين إرادته الخاصة وبين الإرادة الإلهية . وكان هذا الحاجز هو شجرة معرفة الخير والشر التى منع من أن يأكل منها .

وأما ان آدم كان قادراً على تنفيذ الوصية وإجتياز هذا الإمتحان ، فإن هذا يبرره ما زودت به طبيعته من إمكانات طبيعية وروحية . على أن الشيطان ـ بدافع من الحسد ، وفى شكل حية ـ أدخل فى آدم وحواء الشك من جهة وصية الله ، ومن جهة القصاص المرتبط بمخالفتها ، وخدعهما بأنهما إذا أكلا من الشجرة الممنوعة ، يصيران مثل الله عارفين الخير والشر .

فسقط آدم وحواء فى الخطية ، وتعرضا للنتائج السيئة المرتبطة بهذا السقوط .

على أننا قلنا أن الشيطان ظهر لحواء فى شكل حية ، لأنه بالرجوع إلى ما كتب عن سقوط آدم فى العهد الجديد يتبين ـ بما لا يدع مجالاً للشك ـ أن الشيطان إختبأ فى شكل حية . ويقول الأنبا ساويرس بن المقفع «والسبب فى كون الله ذكر الحية فى التوراة ، ولم يذكر الشيطان ، لأنه لم يذكر الملائكة عند خلقهم ولا سقوط الشياطين . وذلك أن الذى ذكرناه من خلقة الملائكة وسقوط ابليس وجنده ، لم يذكره الله لموسى وقومه فى سفر الخليقة من أجل ضعف عقولهم ، اعنى بنى اسرائيل ، وكثرة ميلهم إلى عبادة المخلوقين ، لأنه علم أنه متى ذكر لهم خليقة الملائكة ومراتبهم وسمعوا قوله **«لنخلق إنساناً كشبهنا وصورتنا»** (تك ١:٢٦) ، وقوله **«قد صار آدم كواحد منا»** (تك ٣:٢٢) ، وقوله **«تعالوا ننزل نفرق الألسن»** (تك ١١:١٧) ، ظنوا أنه للملائكة قال هذه الأقوال ، وجعلوهم خالقين معه ، وكانوا ينكرون لاهوت ابنه وروح قدسه عند ظهور سرهما ويقولون أن ليس لهما قال هذه الأقوال بل للملائكة الذين ذكر أنه خلقهم قبل ذلك . فلذلك ترك الله ذكر الملائكة ولم يذكر أن معه أحداً فى السموات مخلوق ، لكيلا يشركوه معه فى العبادة ، ولكيلا ينسبوا إليه الأقوال المختصة بإبنه وروح قدسه ،» (الدر الثمين فى إيضاح الدين ـ إصدار أبناء البابا كيرلس السادس ـ شبرا ـ القاهرة ـ ١٩٧٨ ـ ص ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٠) .

ويشير العهد الجديد إلى الشيطان الذى خدع آدم وحواء كما يبدو من الآيات التالية :

«ولكنى أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها ، هكذا تفسد أذهانكم عن البساطة التى فى المسيح» (٢كو ١١:٣) .

«وآدم لم يغو لكن المرأة أغويت فحصلت فى التعدى» (١تى ٢:١٤) .

«فطرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان الذى يضل العالم كله ، طرح إلى الأرض ، وطرحت معه ملائكته» (رؤ ١٢:٩) .

«فقبض على التنين الحية القديمة ، الذى هو إبليس والشيطان وقيده ألف سنة» (رؤ ٢٠:٢) .

وفى العهد القديم ، جاء فى سفر الحكمة لسليمان **«لكن بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم»** (٢:٢٤ ، يو ٨:٤٤) **«ذاك كان قتالاً للناس من البدء ولم يثبت فى الحق»** . كما جاء فى سفر الحكمة ليشوع بن سيراخ **«من المرأة ابتدأت الخطية وبسببها نموت نحن أجمعين»** (٢٥:٣٣) .

هذا العمل الذى قام به آدم ، يعتبر فى طبيعته وحقيقته تمرداً وعصياناً وتعدياً . على أن القوة الدافعة والبادئة لهذا التعدى تقطن فى **محبة آدم لذاته** ، الذى أراد من خلال الأكل من شجرة معرفة الخير والشر ، أن يحقق إستقلاليته عن الله وأن يصير مثل الله .

وعلى نحو ما تعتبر خطيئة آدم خطيئة خطيرة تحمل الموت بين ثناياها له ولذريته ، على قدر ما يجب أن نتصور الإمكانات والكفاءات التى زود بها آدم لتنفيذ هذه الوصية والخضوع لأمر الله . ويظهر هذا واضحاً مما صحب وصيته الله من القصاص والنتائج المترتبة على مخالفتها . وبسبب هذه الخطية ، فقد الإنسان الإنسجام والهارمونيا بينه وبين نفسه ، وبينه وبين الطبيعة وبينه وبين الله . وهكذا كفَّ الجسد أن يكون أداة للروح ، وصار معرضاً للفساد

والإنحلال ، وأخضعت الطبيعة للبطل (وصارت الطبيعة تنبت شوكاً وحسكاً ، وعليه أن يأكل خبزه بعرق وجهه) وبعد أن كان أولاً كل شىء حسناً ، يتفق مع المشيئة الإلهية ، صارت تحكم فى الإنسان الخطيئة والشيطان [1] .

إن خطيئة رأس الجنس البشرى آدم ، مع كل ما يصحبها من نتائج وقصاص ، أعطيت - كما قلنا - للجنس البشرى ، فإقتسم كل فرد من أفراد الجنس البشرى وشارك آدم خطيئته ونتائجها وقصاصها .

وهكذا ، فكما أن كل خطية هى من ناحية ، عمل الإرادة ، ومن ناحية أخرى هى حالة الخطية فى النفس ناتجة عن اقتراف الزلل والإثم ، تحمل معها نوعاً من الخلق أو الطبع أو السجية وتنتج استمرارية وتواصلا للخطية كعمل أو فعل ، هكذا فإن خطية آدم خلقت حالة خطية ، أُعطيت لكل فرد من أفراد الجنس البشرى المتناسل منه . إن عمومية هذا الفساد فى الطبيعة البشرية ، يعلم به الكتاب المقدس والتقليد ، وتشهد له الخبرة الإنسانية ، وكذلك التاريخ البشرى . ويكفى أن نشير هنا كأمثلة ، إلى ما جاء فى الكتاب المقدس عن عمومية الخطية .

---

(١) لقد علم الآباء إن رأس الجنس البشرى قد خلص . فقد جاء فى حكمة سليمان «هى - أى الحكمة - التى حفظت أول من جبل أبا للعالم لما خلق وحده ، وأنقذته من زلته» (١٠ :١، ٢) ، حيث أنه قد تولد فى آدم الإحساس بالتوبة (تك ٣:٧) ، وجعلته أهلاً للخلاص . ولقد نعت الآباء من يقول بغير ذلك (مثل تاتيان) بأنه هرطوقى ، انظر :

1- Eiryn. Kata air. 3, 23

2- Tert. De Praescr. 52

ورأى الآباء (اثناسيوس - كبريانوس - أوريجينوس - مكاريوس) بأن آدم هو أول من نقله الرب يسوع من الجحيم إلى الفردوس .

وراثة الخطية وعموميتها فى الكتاب المقدس

أولاً : فى العهد القديم :

(تك ٦:٥) «ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض ، وإن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم» .

(تك ٨:٢١) «لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته» .

(١مل ٨:٤٦) «لأن ليس إنسان لا يخطىء» .

(مز ١٤:١-٣) «قال الجاهل فى قلبه ليس إله . فسدوا ورجسوا بأفعالهم . ليس من يعمل صلاحاً . الرب من السماء أشرف على بنى البشر لينظر هل من فاهم طالب الله . الكل قد زاغوا معاً فسدوا . ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد» .

(مز ١٤٣:٢) «ولا تدخل فى المحاكمة مع عبدك ، فإنه لن يتبرر قدامك حى» .

(أش ٥٩:٢-٨) «بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين الهكم ، وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع . لأن أيديكم قد تنجست بالدم ، وأصابعكم بالإثم . شفاهكم تكلمت بالكذب ولسانكم يلهج بالشر . ليس من يدعو بالعدل وليس من يحاكم بالحق . يتكلون على الباطل ويتكلمون بالكذب . قد حبلوا بتعب وولدوا إثماً . فقسوا بيض أفعى ونسجوا خيوط العنكبوت . الآكل من بيضهم يموت والتى تكسر تخرج أفعى . خيوطهم لا تصير ثوباً ولا يكتسون بأعمالهم . أعمالهم إثم وفعل الظلم فى أيديهم . أرجلهم إلى الشر تجرى وتسرع إلى سفك الدم الزكى . أفكارهم أفكار إثم . فى طرقهم اغتصاب وسحق ، طريق

السلام لم يعرفوه وليس فى مسالكهم عدل . جعلوا لأنفسهم سبلاً معوجة ، كل من يسير فيها لا يعرف سلاماً .

(أمثال ٢٠:٩) **«من يقول إنى زكيت قلبى تطهرت من خطيتى» .**

(جامعة ٧:٢٠) **«لأنه لا إنسان صديق فى الأرض يعمل صلاحاً ولا يخطئ» .**

(أيوب ١٤:٤) **«الإنسان مولود المرأة قليل الأيام وشبعان تعبان» .**

(حكمة سليمان ١:٣) **«لأن الله لم يصنع الموت ولا يسر بهلاك الأحياء» .**

(٢٣:٢، ٢٤) **«فإن الله خلق الإنسان لعدم الفساد وجعله صورة ذاته الإلهية . لكن بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم فيختبره الذين هم من حزبه» .**

(أيوب ١٤:٤) **«من يخرج الطاهر من النجس ، حتى وإن كانت حياته يوماً واحداً (الترجمة السبعينية) .**

(مز ٥١:٥) **«هأنذا بالإثم صورت وبالخطية حبلت بى أمى» .**

ومن أجل هذا فإن داود إذ يشير إلى وراثته للخطيئة ، فإنه يطلب رحمة الله قائلاً

«إرحمنى يا الله حسب رحمتك . حسب كثرة رأفتك أمح معاصى . إغسلنى كثيراً من إثمى ومن خطيتى طهرنى ، لأنى عارف بمعاصى وخطيتى أمامى دائماً . إليك وحدك أخطأت والشر قدام عينيك صنعت ، لكى تتبرر فى أقوالك وتزكو فى قضائك» .

ثانياً : فى العهد الجديد

(مت ٧:١١) **«فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة ـ فكم بالحرى أبوكم الذى فى السموات يهب خيرات للذين يسألونه** (انظر أيضاً لو ١١:١٣) .

(مت ١٥: ١٩) «لأن من القلب تخرج أفكار شريرة ، قتل ، زنى ، فسق ، سرقة ، شهادة زور ، تجديف» .

(يو ٣: ٥-٦) «أجاب يسوع : الحق الحق أقول لك . إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله . المولود من الجسد جسد هو ، والمولود من الروح هو روح» .

(غلا ٣: ٢٢) «لكن الكتاب أغلق على الكل تحت الخطية ، ليعطى الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون» .

(رو ٣: ٩، ٢٢) «فماذا إذن . أنحن أفضل . كلا البتة . لأننا قد شكونا أن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطية ... بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون لأنه لا فرق» .

(رو ٣: ١٠- ١٨) « كما هو مكتوب أنه ليس بار ولا واحد . ليس من يفهم . ليس من يطلب الله . والجميع زاغوا وفسدوا معاً . ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد . حنجرتهم قبر مفتوح ، بألسنتهم قد مكروا ، سم الأصلال تحت شفاههم ، وفمهم مملوء لعنة ومرارة . أرجلهم سريعة إلى سفك الدم . فى طرقهم اغتصاب وسُحق وطريق السلام لم يعرفوه . ليس خوف الله قدام عيونهم .

(يع ٣: ٢) «لأننا فى أشياء كثيرة نعثر جميعاً» .

(١يو ١: ٨ -١٠) «إن قلنا أنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا . إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم . إن قلنا إننا لم نخطىء نجعله كاذباً وكلمته ليست فينا» .

(أف ٢ : ٣) **«وكنا بالطبيعة أبناء الغضب»** ، أى أن الإنسان كخاطىء يخضع بالطبيعة لغضب الله . وإن كان البعض يرى أن هذه الآية لا تشير بالأحرى إلى إنتقال الخطيئة بالولادة ، ولكنها تشير إلى حالة الخطيئة التى يولد بها الإنسان ، فى مقابل حالة النعمة التى يحصل عليها فى المسيح يسوع بالولادة الجديدة ، كما يظهر من المقابلة فى النص السابق حيث يقول الرسول بولس **«الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية ، الذين نحن أيضاً جميعاً تصرفنا قبلاً بينهم فى شهوات جسدنا - عاملين مشيئات الجسد والأفكار ، وكنا بالطبيعة أبناء الغضب»** .

ومن ناحية أخرى ، فإن الذبائح التى كان يقدمها الوثنيون واليهود ، وكذلك الخبرة الإنسانية والتاريخ ، جميعها تثبت أن البشرية كانت تحس وتشعر بخطيتها إزاء الله .

على أنه إن كانت الآيات السابقة ، فى العهد الجديد ، لم تشر إلى أننا ورثنا الخطيئة مباشرة من آدم ، فإن هذه الوراثة للخطية من آدم وعموميتها فى الجنس البشرى ، يعبر عنها الرسول بكل وضوح فى رسالته إلى رومية الاصحاح الخامس حيث يقول :

«من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم ، وبالخطية الموت ، وهكذا إجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع (أو - حسب ترجمات أخرى - الذى فيه الجميع قد خطئوا» (رو ٥ : ١٢) .

وفى هذه الآية ، يبدو آدم كعلة وأصل لعمومية الخطية ، وكذلك يبدو الموت كنتيجة وقصاص على خطية آدم ، كما يبدو أننا قد إشتركنا فى خطيئة آدم .

ومهما يكن الخلاف فى ترجمة الجزء الأخير من هذه الآية - وسوف نعود للحديث عن هذا الأمر فيما بعد - فإنه من غير الممكن لنا ونحن نتابع قراءة الرسول بولس فى هذا الإصحاح ، إلا أن نقطع بأن الرسول بولس ، قد تحدث عن إنتقال الخطيئة من آدم إلى الجنس البشرى

وراثة الجنس البشرى لخطيئة آدم . فالرسول يقول :

«ولكن ليس كالخطية ، هكذا أيضاً الهبة . لأنه إن كان بخطية واحد مات الكثيرون ـ فبالأولى كثيراً نعمة الله والعطية بالنعمة التى بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين . وليس كما بواحد قد أخطأ هكذا العطية ، لأن الحكم من واحد للدينونة ، وأما الهبة فمن جرى خطايا كثيرة للتبرير . لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد ، فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون فى الحياة بالواحد يسوع المسيح . فإذن كما بخطية واحد صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة ، هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة . لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة ، هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبراراً . وأما الناموس فقد دخل لكى تكثر الخطية . ولكن حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً . حتى كما ملكت الخطية فى الموت ، هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا» (رو ٥:١٥-٢١) .

أما عن الطريقة التى إنتقلت بها خطية آدم إلى الجنس البشرى ، هل إنتقلت فسيولوجياً حيث أننا فى آدم أخطأنا ، أم إنتقلت شرعياً باعتبار أن آدم يمثل الجنس البشرى ، فإن الرسول بولس لا يتعرض لهذا . على أنه من المقابلة التى وضعها الرسول بين حالة النعمة وحالة الخطية ، يرى البعض أنه كما أن بر المسيح نناله ونشارك فيه بواسطة الإيمان ، هكذا فإن خطية آدم تأسر الإنسان الذى يشارك فيها بخطاياه الخاصة ، على أن هذا لا يعنى مطلقاً إنكار الخطية الأصلية ، أو أننا لا نرث خطية آدم ـ كما ذهب البعض ـ قبل هذه المشاركة بخطايانا الشخصية .

إن الكنيسة تؤكد التعليم بالخطية الأصلية وبوراثة الجنس البشرى لها ، وتجعل هذا التعليم من أساسيات العقيدة المسيحية . ويشهد على ذلك ، ليس فقط كثرة الأقوال التى أوردها الآباء فى هذا الشأن ، بل أيضاً تعليم الكنيسة بضرورة عماد الأطفال ، وكذلك موقف الكنيسة عامة من هرطقة بيلاجيوس ، وموقف الكنيسة الأرثوذكسية من تعليم الكنيسة الكاثوليكية عن الحبل بالسيدة العذراء بدون دنس .!! (بالروح معلص)

أولاً : بالنسبة لتعميد الأطفال :

(١) يقول الأنبا ساويرس بن المقفع **«لأن بسبب خطيئة آدم ، كل من يموت من جميع ذريته ، ينزل إلى الجحيم ، حتى الأطفال الذين لم يخطئوا»** (المرجع السابق ص ٥١) .

(2) ويقول الأرشيدياكون حبيب جرجس (أسرار الكنيسة السبعة ـ الطبعة الخامسة ـ ١٩٧٩ ـ ص ٢٧ ـ ٣٠) :

«إن الأطفال مشتركون فى الخطية الجدية مثل الكبار ، ولا يمكنهم التطهير منها والدخول إلى ملكوت النعمة إلا من هذا الباب بشهادة الرب نفسه : إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله . المولود من الجسد جسد هو ، والمولود من الروح هو روح» (يو ٣:٥، ٦) .

ونشير إلى بعض أقوال الآباء التى وردت فى الكتاب السابق ، والتى جمعت بين معمودية الأطفال ووراثتهم لخطيئة آدم .

(3) قال القديس ايريناوس : إن يسوع المسيح . أتى لكى يخلص جميع البشر ، أعنى الذين به ولدوا ثانية لله ، سواء أكانوا أطفالاً أو شباناً أو شيوخاً (ضد الهراطقة ٢٢:١١ ، فصل ٥:١٥) .

وقال العلامة أوريجينوس : إن الكنيسة تسلمت من الرسل تقليد عماد الأطفال أيضاً ، فالأطفال يعمدون لمغفرة الخطايا ليغتسلوا من الوسخ الجدى بسر المعمودية .

وقال القديس كبريانوس «إذا كان الذين أخطأوا سابقاً أمام الله ، إذ يؤمنون يأخذون صفح خطاياهم ، ولا يمنع أحد منهم عن المعمودية والنعمة ، وإن كان قد فعل خطايا غير محصاة (فالأطفال الذين ضميرهم غير متفتح ولم يخطئوا فى شىء والذين نظرا للخطية الكامنة فيهم وتدنسوا بها وصاروا مشاركى الموت الآدمى ، يحتاجون أيضاً إلى المعمودية لأنها شرط لنوال الخلاص والصفح ، ليس عن الخطايا الشخصية بل الأبوية . وقد حدد مجمعنا «بأنه لا يجوز أن نمنع أحداً من المعمودية ونعمة الله الذى هو صالح ورؤوف بالجميع . فالمعمودية هى للجميع وخصوصاً للأطفال الصغار ، الذين بنوع خصوصى يستميلون إنتباهنا وصلاح الله» رسالة ٥٩ .

وقال القديس غريغوريوس الثيئولوغوس «هل عندك طفل . فلا يأخذن فيه الشر فرصة ، بل ليقدس وهو رضيع وليكرس للروح منذ نعومة أظافره (خطاب فى المعمودية) .

وآباء مجمع قرطاجنة (سنة ٤١٨) فى القانون ١٢١ يقولون «أيضاً حكم بأن كل من ينكر أن المعتمدين من الأولاد الصغار المولودين حديثاً من بطون أمهاتهم يعتمدون لمغفرة الخطايا ، أو يعترف بذلك ولكنه يزعم أنهم لم يشتركوا فى شىء من الخطية الجدية المحتاجة إلى التطهير بحميم الولادة الثانية ، وينتج من هذا الزعم أن رسم المعمودية التى لمغفرة الخطايا فى هؤلاء الأطفال ليس بحقيقى بل مخترع ظاهرى ، فليكن مفرزاً ، لأن عبارة الرسول القائلة «بإنسان واحد دخلت الخطية العالم وبالخطية الموت وهكذا إجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع» لا يجب أن تفهم بمعنى آخر إلا كما فهمتها دائماً الكنيسة الجامعة الممتدة والمنتشرة فى كل مكان ، أعنى أن الأطفال أيضاً الذين لا يستطيعون أن يرتكبوا بذواتهم خطية

ما من الخطايا يعمدون بناء على قانون الإيمان هذا، معمودية حقيقية لمغفرة الخطايا ليتطهر فيهم بالولادة الثانية ما ورثوه من أجدادهم».

ويشير المطران جراسيموس مسرة إلى قول القديس أوغسطينوس «إن الكنيسة كانت دائماً تتمسك **بتعميد الأطفال** متسلمة إياه من إيمان السلفاء، ولم تزل حافظة إياه إلى الآن، وسوف تحفظه إلى الإنقضاء أيضاً» خطاب ١٧٦ (جراسيموس : الأنوار فى الأسرار - ص ٤٩) وفى محل آخر يقول إن «تعميد الأطفال تقليد رسولى» (فى التكوين ١٠: ٢٣).

وهذه الشهادات عينها نراها فى الأوامر الرسولية أيضاً وفى مؤلفات القديس ديونيسيوس الأريوباغى واكليمنضس الإسكندرى وايسيذوروس البيلوسيوتى وامبروسيوس ويوحنا الذهبى الفم (المرجع السابق، نفس الموضع).

ويقول ابن الصليبى : جرت العادة فى الكنيسة قديماً أن يعتمد المؤمنون فى سن الثلاثين من عمرهم بإعتباره سناً كاملاً، غير أن هذه العادة لم تلبث طويلاً أن تغيرت، وأجيز من ثم العماد للجميع على مختلف الأعمار سواء أكانوا فى سن الشيخوخة أم الطفولة» المطران (حالياً البطريرك) سويريوس زكا عيواص وآخرون : الأسرار السبعة - بغداد - طبعة أولى ١٩٧٠ - ص ٣٠.

وجاء فى كتاب «براهين الكتاب المقدس على صدق التعاليم الأرثوذكسية».

قال نيقوديموس : **«إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله»** (يو ٣:٥). ويشمل كلام السيد المسيح هنا بلا شك الأطفال أيضاً لأنهم ولدوا بالآثام (مز ٥١:٥) ويحتاجون إلى التطهير. وفى الخطاب الذى القاه الرسول بطرس فى يوم الخمسين، أوضح أن وعد الله هو للأولاد أيضاً» (أع ٢:٣٨). وحينما كان الرسل يكرزون بالإنجيل كانوا يعمدون المؤمن مع أهل بيته، كما عمدت ليدية بائعة الإرجوان مع أهل بيتها»



(أع ١٦: ٢٥) ، وكما عمد حافظ السجن والذين له أجمعين (أع ١٦: ٢٢) وكريسبس رئيس المجمع اعتمد وأهل بيته وعدد كثير من الكورنثيين (أع ١٨: ٨) . وبالطبع كان الأولاد من ضمن الذين عمدوا ، لأنه ليس من الجائز افتراض أن هذه العائلات كانت تخلو منهم ، أو على الأقل كان يجب أن يشار إلى أن الكبار عمدوا دون الصغار ، لو أن ذلك حدث بالفعل (القمص تاوضروس عبد مريم : براهين الكتاب المقدس على صدق التعاليم الأرثوذكسية - الطبعة الثانية - ١٩٧٧ ص ١٨٣ - ١٨٤) .

ثانياً : بالنسبة لهرطقة بيلاجيوس :

«أنكر بيلاجيوس القول بفساد الطبيعة البشرية بفعل إنتشار خطيئة آدم الأولى إلى كل ذريته بالوراثة . وقاوم الإعتقاد بأن إنحطاط الإنسان الأخلاقي مرجعه إلى قضاء الله المحتوم ، وكان يقول أن هذا الإعتقاد يشجع الفساد ويزيد رخاوة الإنسان وكسله عن عمل الفضيلة (ليست الخطيئة ولا الفضيلة مفطورة فينا .... وإنما هذه وتلك تنمو بإستخدام الحرية ، ويحاسب عنها من يباشر هذه الحرية وحده) كل ما هو صالح وكل ما هو شر (يفعل بنا ولا يولد معنا) . نحن لا نولد في طور الكمال ، وإنما نولد ولنا قدرة على الخير والشر . نولد بلا فضيلة ولا رذيلة أيضاً ، وليس فينا قبل عمل إرادتنا الخاصة غير ما أودعه الله فينا . وكل فرد شخصية أخلاقية في ذاته بمعزل عن غيره .. وقد زوده الخالق بالعقل والإرادة الحرة .

والعلاقة الوحيدة التي تربط خطيئة آدم بخطيئة الناس هي العلاقة بين المثال ومحاكاته (الأنبا غريغوريوس : علم اللاهوت المقارن - من مذكرات الكلية الإكليريكية - بيلاجيوس - ص ٢٤) .

وإذن فقد أنكر بيلاجيوس عقيدتين :


حماة الإيمان

أولاً : أنكر ضرورة النعمة فائقة الطبيعة التى تأتى مباشرة لمساعدة الإنسان فى أية خدمة حقيقية لله يقوم بها الإنسان .

ثانياً : أنكر إنتقال خطأ الطبيعة وفسادها وإنتقال الموت الطبيعى إلى ذرية الإنسان الأول نتيجة لتعديه (المرجع السابق - ص ٢٥) .

ويشير أستاذنا نيافة الأنبا غريغوريوس فى مذكرته السابقة الذكر إلى قوانين مجمع قرطاجنة عام ٤١٧م ، على النحو التالى :

١ - من قال بإن آدم الإنسان الأول ، قد خلق قابلا للموت سواء أخطأ أو لم يخطىء ، وأنه كان سيموت بأسباب طبيعية لا بسبب الخطيئة ، فليكن محروماً .

٢ - من قال أن الأطفال المولودين حديثاً لا يحتاجون إلى المعمودية ، وأنهم يتعمدون لمغفرة الخطايا ، ولكن ليس هناك خطيئة أصلية موروثة من آدم تغسل فى جرن المعمودية . وإن صيغة العماد التى تنص على مغفرة الخطايا ، تستعمل فى حالتهم بمعنى وهمى ، لا بمعنى حقيقى ، فليكن محروماً .

٣ - من قال إن هناك فى ملكوت السموات ، أو فى أى مكان آخر ، موضعاً متوسطاً يحيا فيه سعداء الأطفال الذين يفارقون هذه الحياة غير معمدين ، فليكن محروماً .

٤ - من قال إن نعمة الله التى بها يتبرر الإنسان بواسطة يسوع المسيح ربنا لا تفيد إلا فى غفران الخطايا التى إرتكبت بالفعل ، وأنها لا تعين فى منع إرتكاب الخطايا ، فليكن محروماً .

٥ - من قال بأن هذه النعمة ، تعيننا فقط لكى نتجنب الخطيئة على هذا النحو ، وأن بها قد أعطينا عن طريق الوحى فهما لوصايا الله حتى نتعلم ما يجب أن نجاهد من أجله وما يجب أن نتجنبه ، ولكنها لا تمنحنا أيضاً اللذة فى فعل ما عرفنا أنه خير ولا قوة لفعله ، فليكن محروماً .

٦ ـ من قال أن نعمة التبرير ، أعطيت لنا حتى يمكن أن نفعل بالنعمة ما أمرنا بفعله بواسطة حرية الإختيار الممنوحة لنا ، ولكن فى أكثر سهولة ، وأنه كان يمكننا أن نتمم تلك الوصايا بدون هبة النعمة ولو أنه ليس بتلك السهولة ، فليكن محروماً .

٧ ـ من قال إن كلمات الرسول القديس يوحنا **«إن قلنا إن ليس فينا خطيئة فإنما نضل أنفسنا وليس الحق فينا»** (ايو ١:٨) يجب أن تؤخذ بمعنى أنه يجب أن نقول أننا خطاة عن إتضاع ، وليس لأن ذلك حقيقى ، فليكن محروماً .

٨ ـ من قال إن القديسين إذ يرددون فى الصلاة الربية القول «اغفر لنا ما علينا» لا يقولون ذلك عن أنفسهم ، لأن هذه الصلاة ليست ضرورية لهم ، ولكنهم يقولونها عن آخرين من بين أهلهم من الخطاة ، فليكن محروماً .

٩ ـ من قال إن القديسين يقولون هذه الكلمات عن إتضاع لا لأنها حقيقية ، فليكن محروماً (المرجع السابق ـ بيلاجيوس ـ ص ٣٠ ، ٣١) .

وكما ترفض الكنيسة الأرثوذكسية تعاليم بيلاجيوس ، كذلك ترفضها الكنيستان الكاثوليكية والبرتستانتية .

فبالنسبة للكنيسة الكاثوليكية :

جاء فى معجم اللاهوت الكاثوليكى (منشورات دار المشرق ـ لبنان ـ ١٩٨٦) :

البلاجيانيسم Pelagianisme هرطقة فى إطار التعليم عن لاهوت النعمة . عبر عنها وانتشرت فى العصور الأولى للمسيحية على يد الراهب بلاج (أوائل الجيل الخامس) وتلميذه سلتيوس . إن البلاجيانيسم يرفض التعليم عن الخطيئة الأصلية ، يغيب عنه ثقل الميل إلى الشهوة ومعنى الألم والموت كنتيجة الخطيئة . ينظر إلى حرية الإنسان كسلطان طبعاً مخلوق

إنما بعد خلقه مستقل تماماً ويستطيع أن يعيش بذاته الشريعة الإلهية ، ويتوجب عليه أن يعيشها . وبذلك ينكر ضرورة النعمة للحفاظ طبيعياً وخلاصياً على الشريعة الأدبية .

وبالنسبة للكنيسة البروتستانتية

جاء فى كتاب علم اللاهوت النظامى (دار الثقافة المسيحية - القاهرة - ١٩٧١) : المذهب البيلاجي فى الخطية ، هو مذهب بيلاجيوس فى حال الإنسان الأصلية ، ومنذ سقوطه ، وماهية الخطية ، ونسبة الشر إلى آدم . ومن مبادئه أن القدرة تحدد الإلتزام ، وإن للإنسان قدرة كافية لعمل كل ما يكلف به بالحق ، وأن الخطية إنما تقوم بالعمل الطالح ، وإن القداسة إنما تنشأ عن الأعمال الصالحة ولذلك الخطية لا تنسب إلى أخلاق النفس وأميالها الراسخة بل إلى أعمالها فقط . والقاعدة التى يقوم عليها هذا النظام كله هو قولهم إذا وجب علىّ قدرت . وعلى ذلك يمكن حصر هذا المذهب فى مبدأين **الأول** ، إن القدرة تحدد التكليف . **والثانى** ، إن الخطية لا تختص البتة بأخلاق النفس وصفاتها الباطنة ، بل إنما تقوم بالأعمال الصالحة . وهذا المذهب هو بدعة بدليل مخالفته لتعاليم الكتاب المقدس الصريحة ، ورفض علماء المسيحية له حالما علم جيداً ، وفى كل القرون التابعة فى تاريخ الكنيسة .

والنتائج المترتبة عن المبدئين هى :

١ - نفى وجود بر أصلى فى آدم

٢ - نفى وجود خطية أصلية فى البشر ، بل عدم إمكانية ولادة البشر فى الخطية .

٣ - حصر الخطية فى الأعمال الإختيارية ، أى لا خطية إلا ما نشأ عن الأعمال الإختيارية .

٤ - نفى مبدأ النيابة على الإطلاق سواء كان فى نسبتها إلى آدم أم إلى المسيح .

٥ - إمكان الخلاص بدون الإنجيل وتجديد الروح القدس ، أى لكل إنسان القدرة على تخليص نفسه .

٦ - إن آدم خلق قابل الموت الجسدى ولذلك لم يكن موت الجسد عقاب الخطية (ص ٦٣٢ - ٦٣٣) .

ثالثاً : عقيدة «الحبل بلا دنس» :

تعلم الكنيسة الكاثوليكية منذ القرن التاسع عشر (١٨٥٤م) بأن العذراء مريم حفظت طاهرة من الخطية الأصلية . وهذا تعليم يناقض الكتاب المقدس والتقليد . فالكتاب المقدس والتقليد الكنسى كلاهما يعلم بعمومية الخطية الأصلية التى إنتقلت إلى جميع البشر ما عدا السيد المسيح . فالعذراء مريم قد ورثت شأنها شأن البشر جميعاً الخطيئة الأصلية بكل نتائجها . أما الكنيسة الكاثوليكية فتخالف هذا التعليم على النحو التالى :

جاء فى كتاب «معجم اللاهوت الكاثوليكى» :

«ولذلك فمريم اعتقت من الخطية الأصلية ، لأنها وإن كانت عضواً فى جنسنا الخاطىء بخطيئة آدم ، كانت تملك النعمة الحالية منذ بدء حياتها (الحبل بلا دنس) لأن الله كان حصاها فى إرادته الخلاصية «بسابق نظره إلى إستحقاقات المسيح» . وللسبب عينه ، اعتقت مريم من كل خطيئة ، ومن الخضوع «للميل إلى الشهوة» .

وجاء فى كتاب : من أنت أيتها الكنيسة ، للآب فاضل سيداروس (دار المشرق - بيروت - لبنان ١٩٩٢) ما يلى :

لقد إختار الله الآب مريم إختياراً شخصياً فريداً من نوعه ، وتجاوبت مريم مع هذا الإختيار . ومن هذا المنطلق ، أعلن البابا بيوس التاسع فى ٨ ديسمبر ١٨٥٤ عقيذة «الحبل بلا دنس» فى البراءة البابوية ، وهى :

«إكراماً للثالوث القدوس ، وإحتراماً وتزييناً للعذراء ، إرتفاعاً للإيمان الكاثوليكى ، وتنمية وأزدهاراً للديانة المسيحية ، نعلن ونلفظ ونحدد أنه تعليم أوصى به الله ، ذلك الذى يعلم أن الكلية الطوبى مريم تحفظت معصومة من كل دنس الخطيئة الأصلية - منذ أول لحظة من

الحبل بها - بنعمة خاصة وإمتياز من الله القدير ، ونظراً إلى إستحقاقات يسوع المسيح فادى الجنس البشرى ، ولذلك فعلى كل المؤمنين أن يؤمنوا به بثبات وعلى الدوام» (ص ٢٥٨ ، ٢٥٩) .

ويقول أيضاً الأب فاضل سيداروس :

«وإذ لم تخطأ مريم - بموجب «الحبل بلا دنس» - رأى بعض اللاهوتيين أنها لم تمت ، بل «رقدت» أو «تنيحت» ، فـ «إنتقلت» مباشرة إلى السماء ، كما قصد الله بالنسبة إلى البشر أجمعين لولا الخطيئة . فلأن حياة مريم كانت كلها تجاوباً مع إختيار الله لها ، لم تذق فساد الموت ، بل إنتقلت جسدياً وروحياً إلى الأمجاد السماوية . وأما البشر ، فمن جراء خطيتهم يختبرون الموت جسدياً فى نهاية حياتهم الأرضية ، إذ يعود جسدهم إلى التراب ، وقد أتى من التراب (تك ٣: ٩) ، كما أنهم يختبرون الموت روحياً كلما خطئوا فابتعدوا عن الله ، لأن من انفصل بالخطيئة عن الله ، مصدر الحياة ، فقد الحياة الجسدية (بالموت الذى لم يكن فى قصد الله) والروحية (وهذا هو معنى نار جهنم) . فإنتقال مريم بجسدها وروحها إلى السماء ، يذكر البشر بأنهم كانوا مدعوين إلى الحياة الأبدية جسداً وروحاً ، وبإختيارهم الخطيئة ينفصل جسدهم عن روحهم فيعود الجسد إلى التراب . فلم يكن الموت - أى إنفصال جسد الإنسان عن روحه - فى قصد الله ، بل أنه يحدث بسبب الخطيئة . وأما مريم ، فبفضل إختيار الله لها وتجاوبها معه ، لم تعرف الموت ، أى إنفصال جسدها عن روحها ، بل إنتقلت إلى السماء بجسدها وروحها . (ص ٢٧٦ ، ٢٧٧) .



جوهر الخطية الأصلية

قلنا فيما سبق أن الخطية الأصلية هى خطية حقيقية ، وهى التعدى على وصايا الله ، وتوجيه الإرادة إلى ذاتها بدل أن تتجه إلى الله ، أى الإنحراف بالإرادة عن مسارها الطبيعى . أو هى تحول الإنسان ودورانه حول نفسه والتفافه حول ذاته . وعلى هذا النحو ، تكون الخطيئة الأصلية ذنب وإدانة توجب القصاص والعقوبة للإنسان من الله البار . وترتب على هذا أن نناقش الخطيئة الأصلية من حيث :

١ ـ علامات (سمات ـ دلائل) أى الصور التى تعبر تعبيراً مادياً عن الخطيئة الأصلية .

٢ ـ دلالتها الأساسية كذنب وإدانة .

٣ ـ القصاص والنتائج المترتبة عليها .

أولاً : الخطية الأصلية ودلالتها المادية

١ ـ من الناحية السلبية : يمكن القول أن الخطية الأصلية ، من الناحية السلبية ، هى السقوط من الشركة الإلهية ، والإقفار من النعمة الإلهية ، أو هى التعرض للإبتلاع من العالم المادى . وفى كلمة واحدة هى : خسران لحالة البر الأصلى .

٢ ـ ومن الناحية الإيجابية : هى فساد «حسب الصورة» أى فساد الطبيعة الروحية والأخلاقية للإنسان ، والذى يظهر فى إظلام العقل وفى إتجاه الإنسان نحو الخليقة وليس الخالق ، والميل الدائم نحو الشر ، وفى شهوة الجسد التى تسمى Concupiscentia .

هذان العنصران للخطية الأصلية ، يرتبطان معاً إرتباطاً داخلياً ، وينتجان معاً نفس الشيء لأنه يتضح مما سبق ذكره ، أن حالة البر الأصلى للإنسان ، ليست هى ـ كما تعتقد الكنيسة

الكاثوليكية - هبات إضافية للنعمة الإلهية - ولكنها ترتبط إرتباطاً عضوياً بالطبيعة الروحية والأخلاقية للإنسان ، ولا يمكن أن تنفصل عن الإنسان ، بدون أن تؤذى وتجرح وتضر العقل والإرادة التى عليها تستند .

ومن جهة هذين العنصرين ، من ناحية ، فإن خسران النعمة الإلهية أمر واضح ، ومن ناحية أخرى فإن هذا الخسران أو الفقدان للصورة لا يجب أن يؤخذ على أنه فقدان تام وموت تام لما هو إلهى فى الإنسان .

ولم يشر الكتاب المقدس مطلقاً ، إلى أن صورة الله قد مسحت أو محيت تماماً فى الإنسان بعد السقوط ، ذلك لأن الكتاب المقدس تحدث عن صورة الله فى الإنسان بعد السقوط ، فقال **«سافك دم الإنسان يسفك دمه ، لأن الله على صورته عمل الإنسان»** (تك ٩:٦) . ويقول فى الرسالة الأولى إلى كورنثوس **«فإن الرجل لا ينبغى أن يغطى رأسه لكونه صورة الله ومجده»** (١كو ١١:٧) . وحتى لو كانت صورة الله تفهم على حسب البروتستانت ، فى المعنى الضيق ، فإنها تعنى المحبة والخوف والإيمان بالله ، فإن هذا أيضاً لم يفقد تماماً بعد السقوط . وبلا شك فإن عقل الإنسان الساقط قد ضعف وأظلم من جهة الروحيات ، لأنه على الأقل ، قد طمس فيه كل شعاع للنور الإلهى - ولكنه بهذا النور الخافت المحفوظ فيه ، فإنه يستطيع أن يرفع لإدراك ومعرفة الإرادة الإلهية ، كما يقول الرسول بولس فى رسالته إلى رومية **«إذ معرفة الله ظاهرة فيهم ، لأن الله أظهرها لهم ، لأن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته ، حتى أنهم بلا عذر»** (رو ١:١٩ ، ٢٠) .

وكذلك أيضاً ، فإن الإرادة الحرة لا تظهر فى الإنسان عاجزة عن أن تمارس أى فعل خير - كما يبدو فى العقيدة البروتستانتية حيث يقولون «والجزء الذى زال بالسقوط هو الكمال الأدبى

الذى فطر الإنسان عليه ، أى حال البر والقداسة التى خلق عليها ... أنه تغير فى حاله الأدبية وانحط من حالة البر والطهارة إلى حالة الخطية والفساد الأدبى» (علم اللاهوت النظامى - دار الثقافة المسيحية - القاهرة - ١٩٧١ - ص ٥٩٧) .

ويقول الكاثوليك «إن جوهر الخطيئة الأصلية يقوم فى غياب النعمة أو فى غياب الترفيع الفائق الطبيعة الذى كان الله منذ البدء قد قرره للإنسان . وهذا الحرمان يفصل حقاً الإنسان عن الله ، دون أن يكون خطيئة الفرد الشخصية ، ولا يمكن أن يدعى خطيئة إلا بصورة قياسية . إنها تترك فى الإنسان كل ما هو ذاتى بطبيعته ، مع أن الإنسان الوضعى بكليته جرح من جراء نتائج الخطية الأصلية وضعف فى مقدراته الطبيعية (معجم اللاهوت الكاثوليكى : كارل راهنر وهربرت ڤورغريملر - نقله إلى العربية المطران عبده خليفة - دار المشرق - لبنان - الخطيئة الأصلية ص ١٢٥) .

بلا شك إن الأخلاق المسيحية ، ليست هى ببساطة تكميل الحياة الأخلاقية للإنسان الطبيعى ، ولكنها تختلف عن الحياة الأخلاقية للإنسان الطبيعى إختلافاً جوهرياً . فهى تفتح أمام الإنسان باب الحياة الأبدية ، الذى كان مغلقاً إلى الأبد أمام الإنسان الطبيعى .

على أن الكتاب المقدس يشهد بأن الإنسان لم يفقد تماماً القدرة على فعل الخير بطبيعته ، فالكتاب المقدس يوضح أن الأمميين يمكنهم أن يفعلوا ما فى الناموس الأخلاقى **«لأنه الأمم الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا بالطبيعة ما هو فى الناموس ، فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس هم ناموس لأنفسهم . الذين يظهرون عمل الناموس مكتوباً فى قلوبهم ، شاهداً أيضاً ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة ، فى اليوم الذى فيه يدين الله سرائر الناس حسب إنجيلى بيسوع المسيح»** (رو ٢:١٤-١٦) .

ويشير الكتاب إلى أعمال صالحة للإنسان الساقط ، كما يتضح من الأمثلة التالية :

«فدخل الغلامان الجاسوسان وأخرجا راحاب وأباها وأمها وإخوتها وكل مالها وأخرجا كل عشائرها ، وتركاهم خارج محلة إسرائيل . واحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها . إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها فى خزانة بيت الرب . واستحيى يشوع راحاب الزانية وبيت أبيها وكل مالها ، وسكنت فى وسط إسرائيل إلى هذا اليوم ، لأنها خبأت المرسلين اللذين أرسلهما يشوع لكى يتجسسا أريحا» (يش ٦:٢٣ - ٢٥) .

«لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم . أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك . وإن سلمتم على إخوتكم فقط ، فأى فضل تصنعون . اليس العشارون أيضاً يفعلون هكذا . فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل» (مت ٥:٤٦ - ٤٨) .

«أم أى إنسان منكم إذا سأله إبنه خبزاً يعطيه حجراً ، وإن سأله سمكة يعطيه حية . فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحرى أبوكم الذى فى السموات يهب خيرات للذين يسألونه» (مت ٧:٩ - ١١) .

«ولما نجوا وجدوا أن الجزيرة تدعى مليطة . فقدم أهلها البرابرة لنا إحساناً غير المعتاد ، لأنهم أوقدوا ناراً وقبلوا جميعنا من أجل المطر الذى أصابنا ومن أجل البرد» (أع ٢٨:١ ، ٢) .

«وكان فى قيصرية رجل إسمه كرنيليوس قائد مائة من الكتيبة التى تدعى الإيطالية . وهو تقى وخائف الله مع جميع بيته يصنع حسنات كثيرة للشعب ويصلى إلى الله فى كل حين . فرأى ظاهراً فى رؤيا نحو الساعة التاسعة

من النهار ملاكاً من الله داخلاً إليه ، وقائلاً له يا كرنيليوس . فلما شخص إليه ودخله الخوف قال ماذا ياسيد . فقال له : صلواتك وصدقاتك سمعت تذكاراً أمام الله . والآن أرسل إلى يافا رجالاً واستدع سمعان الملقب بطرس . إنه نازل عند سمعان رجل دباغ بيته عند البحر . هو يقول لك ينبغى أن تفعل ... وبينما بطرس متفكر فى الرؤيا قال له الروح هوذا ثلاثة رجال يطلبونك . لكن قم وانزل واذهب معهم غير مرتاب فى شىء لأنى أنا قد أرسلتهم ... وفى الغد دخلوا قيصرية . وأما كرنيليوس فكان ينتظرهم ، وقد دعا أنسباءه وأصدقاءه الأقربين . ولما دخل بطرس استقبله كرنيليوس وسجد واقعاً على قدميه . فأقامه بطرس قائلاً قم أنا أيضاً إنسان ... فقال كرنيليوس منذ أربعة أيام إلى هذه الساعة كنت صائماً . وفى التاسعة كنت أصلى فى بيتى ، وإذا رجل قد وقف أمامى بلباس لامع وقال ياكرنيليوس سمعت صلاتك وذكرت صدقاتك أمام الله . فأرسل إلى يافا واستدع سمعان الملقب بطرس . إنه نازل فى بيت سمعان رجل دباغ عند البحر ، فهو متى جاء يكلمك . فأرسلت إليك حالاً . وأنت فعلت حسناً إذ جئت . والآن نحن جميعاً حاضرون أمام الله لنسمع جميع ما أمرك به الله ؛ ففتح بطرس فاه وقال بالحق أنا أجد أن الله لا يقبل الوجوه ، بل فى كل أمة الذى يتقيه ويصنع البر مقبول عنده ... فبينما بطرس يتكلم بهذه الأمور حل الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة . فإندهش المؤمنون الذين من أهل الختان ، كل من جاء مع بطرس ، لأن موهبة الروح القدس قد إنسكبت على الأمم أيضاً ... حينئذ أجاب بطرس أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضاً . وأمر أن يعتمدوا بإسم الرب» (أع ص ١٠)

«فوقف بولس فى وسط أريوس باغوس . وقال أيها الرجال الاثينويون ، اراكم من كل وجه كأنكم متدينون كثيراً . لأننى بينما كنت اجتاز وانظر إلى معبوداتكم وجدت أيضاً مذبحاً مكتوباً عليه لإله مجهول . فالذى تتقونه وأنتم تجهلونه هذا أنا أنادى لكم به . الإله الذى خلق العالم وكل ما فيه .. لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد ، كما قال بعض شعرائكم أيضاً لأننا أيضاً ذريته . فإذ نحن ذرية الله ...» (أع ١٧:٢٢ - ٣١) .

الميل إلى الشهوة *Concupiscentia*

١ - ماذا تقول الكنيسة الكاثوليكية :

يشرح كتاب «معجم اللاهوت الكاثوليكى» موضوع الميل إلى الشهوة (Concupiscence) على النحو التالى :

نعنى بذلك شهوة ، تسبق قرار الإنسان الحر ولا تقع ، جزئياً ، تحت مراقبة الحرية . بل أنها توجه هذه إلى خير جزئى للإنسان . وإذا كانت هذه الخيور التى قبلتها الحرية ، خطيئة ، إذ ذاك بإمكاننا أن ندعو هذه الشهوة ميلاً سيئاً إلى الشهوة .

فى الكتاب المقدس ، فى التاريخ المقدس ، منذ آدم ، تظهر الخطيئة قبل كل شىء بواسطة هذا الميل . إنما لا نخلط بين الخطيئة وبين هذا الميل ، فإنها تبقى حاضرة حتى فى الإنسان المبرر وفى كل كيانه . ولذا فعلينا أن لا نركزه فى الجسد وحده ، لأن الجسد لا يعنى اللحم (ساركس) الذى يكلمنا عليه الكتاب المقدس .

فى تعليم الكنيسة هذا الميل هو شىء طبيعى . إنما بالنسبة إلى الوجود البشرى ، كما صنعه الله فى البدء ، فإن هذا الميل يعنى ، خاصة حسبما نتحسسه ، ضعف قوة الإرادة ،

التى كان الله أرادها لنا . وفى هذا المعنى بإمكاننا أن نتصوره كنتيجة الخطيئة الأصلية وكمحرك إلى الخطيئة الشخصية ، ومن الممكن أن ننتصر عليه بقوة النعمة .

اليوم لقد ترك اللاهوتيون هذا المفهوم للميل إلى الشهوة الذى ورثناه عن أوغسطينوس ، والذى يوحد بصورة مادية ، الميل وأدلة الخطيئة الأصلية الخاطئة . ولقد تركوا أيضاً النظرية التى كانت نظرية اللاهوتيين بعد المجمع التريدنتي والتى تقول أن هذا الميل هو عقاب الخطيئة الأصلية ، عقاب خارجى لا غير ، أى أنه عقاب «طبيعى» ينتج بالنسبة إلى الإنسان فى حالتة الواقعية ، من طبيعته عينها . والفكرة التى يتصورون بها هذا الميل هى الفكرة التى تقول بأن هذا الميل هو دفع طبيعى فى الإنسان يعاكس فيه أوضاعه الفائقة الطبيعة ، حتى وإن لم يكن موضوع إختيار شخصى وأدبى ، ويكون فى الإنسان بهذا المعنى ، تعبيراً عن الخطيئة فى الإنسان المبرر ، فإن هذا الميل يصبح وضعاً يحوى قبول «الموت» قبولاً فعالاً ، وبالتالى ، الإنتصار على الموت .

٢ ـ ماذا تقول الكنيسة البروتستانتية

إن التجديد يقوم بحياة جديدة لكنه لا ينشأ عنه تمام نجاة النفس من كل خطية . لأن الذى يقوم من المرض الثقيل ، فإنه يبقى زماناً طويلاً فى حال الضعف ، كذلك النفس المريضة بل الميتة فى الخطية لا ترجع حالاً إلى الصحة الكاملة بواسطة الحياة الروحية . وقد يبقى فى النفس ما لا يوافق طبيعتها المجددة ، وتكون الحرب بين الأميال القديمة والأميال الجديدة ، شديدة ومؤلمة ، كما هو محقق من إختيار شعب الله . وفى هذا الأمر يظهر الفرق العظيم بين الإعتقاد الباباوى والإعتقاد الإنجيلى . فعند الباباويين أنه لا يبقى شىء من طبيعة الخطية فى النفس بعد التجديد الذى زعمهم يتم بالمعمودية . وعلى هذا بنى اللاهوتيون عندهم تعليم إستحقاق الأعمال الصالحة والكمال والأعمال النافلة ونشأ من ذلك تعليم الحل والغفرانات .

ولكن يظهر من الكتاب وإختبار كل المسيحيين وشهادة التاريخ الصادقة أن التجديد لا ينزع كل ميل إلى الخطية . والكتاب مملوء من أنباء الحروب الداخلية فى أشهر عبيد الله وأخبار وقوعهم فى حال الفتور وتسليمهم إلى تجارب متنوعة ، وأحياناً إرتدادهم وقتياً وتوبتهم وحزنهم على قصورهم الدائم . وقد وصفت فيه حقيقة الحرب بين الميل إلى الصلاح والميل إلى الشر فى قلب المتجدد .

والتجديد هو إدخال حياة جديدة فى طبيعتهم الفاسدة ، فهو خميرة يمتد فعلها بالتدريج فى كل العجنة . وعلى ذلك يقوم التقديس بأمرين : الأول إماتة الإنسان العتيق وإزالة الأميال الشريرة المتخللة طبيعتنا وإبطال قوتها بالتدريج . والثانى إنماء الإنسان الجديد وإثبات الأميال الصالحة الخاصة بالحياة الروحية ، إلى أن يتسلط الروح القدس على الإنسان الداخلى بكل قواه ويجعل النفس وفق صورة المسيح والأعمال مطابقة لمطالبه تعالى .

ونستنتج ثلاث فوائد فى شأن التقديس :

١ ـ إنه لا يكمل دفعة ، فلا تزال النفس بعد التجديد تميل إلى الخطية ، وهذا الميل لا يزول إلا شيئاً فشيئاً بواسطة تكميل التقديس .

٢ ـ إنه ينتج من وجود الميل إلى القداسة والميل إلى الشر معاً فى قلب المؤمن محاربة روحية تبقى مدة عمره . فكأن المسيحى المؤمن إنسان جديد وإنسان عتيق فى شخص واحد لكنه بواسطة التقديس يخلع الإنسان العتيق ويلبس شيئاً فشيئاً الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر والقداسة والحق . .

٣ ـ إن المعين فى هذه المحاربة الروحية هو الروح القدس . فنسبة التقديس إلى التجديد كنسبة النمو إلى الولادة . والمؤمن يطلب هذا النمو ويعمل مع الله لنوال التقديس ونزع الشر من قلبه والتقدم فى كل ما هو صالح . (علم اللاهوت النظامى ص ١٠٠٨ ـ ١٠١٠) .

في كتاب لنا عن «مفهوم التبرير بين الكنيسة الإنجيلية والكنيسة الأرثوذكسية» سبق أن كتبنا الآتي :

للتبرير في مفهوم الكنيسة الأرثوذكسية ، عمق أكبر مما له في الكنيسة الإنجيلية ، فهو من ناحية يبطل ويلاشي الحالة التي خلفتها الخطيئة الأصلية في الإنسان والتي جعلت منه الإنسان العتيق ، ومن ناحية أخرى ، يخلق فيه حياة التقديس الفائق للطبيعة ، جاعلاً المبرر خليقة جديدة . وهذان الوجهان للتبرير ، كتحرير وغفران من الخطايا ، وكخلق من جديد لحياة التقديس الجديدة في المسيح ، يظهرهما بوضوح كتاب العهد الجديد ، وخاصة رسائل بولس الرسول . وهذان الجانبان للتبرير تؤكدهما أيضاً كتابات الآباء .

على أن هذا الجانب الإيجابي السامي للتبرير ، لا يتعارض مع الخبرة المسيحية التي تؤكد حقيقة سيكولوجية هامه ، وهي أن المسيحي بعد أن يتبرر ويدخل إلى حياة التقديس الجديدة أو إلى هذه الحالة الجديدة من قداسة الحياة ، لا تزول عنه بصورة كاملة ، ما نسميه «بإهتمام الجسد» أو «الإهتمام الجسدي» أو «الميل إلى الشهوة» ، بل تظل بقايا من الشهوة Concupiscentia التي كانت تسود على الإنسان العتيق الذي لم يكن قد تبرر بعد . ويمكننا أن ندرك هذا - عندما نأخذ في إعتبارنا أن هذه البقايا ليست أعراض ما يوجد في النفس من مرض ثقيل ، بل هي مخلفات لإحساسات رقيقة عادة تصاحب المريض الذي ظل يعاني من مرضه لمدة طويلة . وهذه البقايا لا تعني أننا لازلنا أمام إنسان مذنب . وحيث أنها تواجه بحذر وحيطة وسهر ويقظة من قبل الإنسان الذي تبرر ، فإنها تتحول إلى وسيلة لتستثير الإنسان نحو النضج والنمو والكمال . ومن ناحية أخرى ، فعلينا ألا ننسى أنه بالحصول على هذا الجانب الإيجابي للتبرير ، والذي به يتحقق للمبرر داخلياً حياة التقديس

الجديدة فى المسيح ، فإن هذا لا يجب أن يدرك على أنه إنتقال إلى أعلى درجات الكمال فى الحياة المقدسة ، بل من ناحية كميلاد ثان ، ومن ناحية أخرى كحالة طفل فى المسيح ، مدعواً إلى مواصلة الجهاد وتجديد المحاولات للنمو فى حياة التبرير وللسير فى الطريق إلى الكمال ، دون أن يتناسى أن الوصول إلى كمال الحياة المقدسة أمر لا يتحقق فى هذا العالم ، بل فيما بعد فى الحياة الأبدية . وعلى ذلك فإن التبرير الذى يحدث فى وقت المعمودية ، يتطلب لمن حصل على حياة التقديس ، نمواً متواصلاً للحياة الجديدة فى المسيح يسوع . ومن أجل هذا آباء الكنيسة يتحدثون من ناحية عن غفران الخطايا ، ومن ناحية أخرى عن شركة الروح القدس المعطاه حسبما يكون عليه كل مؤمن . وفى كلمات أخرى ، فإن عمل النعمة فى التبرير هو عمل واحد فى جميع المبررين ، ولكنه من ناحية أخرى ، يتوقف على جهاد كل مؤمن ومحاولته للنمو وللتقدم فى حياة القداسة الجديدة فى المسيح يسوع .

ويمكننا أن نجد فى الطبيعة فى عملية التطعيم ، مثالاً لتوضيح معنى التبرير ومعنى النمو فى حياة القداسة . فالشجرة إذا طعمت ببرعم جديد ، فإنها تتحد بهذا البرعم الجديد وتكتسب حياة جديدة ونمواً لهذا البرعم الجديد .

وهكذا الأمر بالنسبة للمبرر ، حيث يطعم بالحياة الجديدة . ويتطلب هنا مواصلة الجهد واليقظة والسهر لتنمية هذه الحياة الجديدة . وبهذه الحياة الجديدة ، فإن الخصائص الطبيعية لا تزول ولا تمحى ، ولكنها تصفو وتتنقى وتتقدس . وعلى هذا النحو ، فإن كل مبرر يطالب ، حتى بعد أن يتبرر ، أن يجاهد من ناحية فى مواجهة ما تبقى من مخلفات الإنسان العتيق من إهتمامات الجسد ، وفى نفس الوقت فى زرع الحياة الجديدة التى نالها فى المسيح يسوع وفى جهاده فى طريق الكمال . ولا يكف فى خوف ورعدة ، عن

العمل من أجل خلاصه . ولكنه فى نفس الوقت يكون مليئاً بالرجاء الذى يهبه الروح القدس والذى به نصرخ إلى الآب السماوى قائلين «يا أبا الآب» [1] .

ونشير هنا إلى ما قاله القديس مار ايوانيس الدارى السريانى ، وما أشار إليه المطران سويريوس زكا عيواص (حالياً : البطريرك زكا عيواص ، بطريرك السريان الأرثوذكس بدمشق) :

قال القديس مار ايوانيس الدارى : للمعمودية مفعولان رئيسيان هما :

١ - التطهير . ٢ - الإستنارة .

التطهير هو غفران الخطايا برمتها على إختلاف أنواعها وأشكالها ، سواء كانت الخطية الجدية الأصلية أم غيرها . وقد سبق الله تعالى وأعلن عن ذلك بلسان نبيه حزقيال (خر ٣٦:٢٥) **«وارش عليكم ماء طاهراً فتطهرون من كل نجاساتكم ومن كل أصنامكم أطهركم»**. والرسول بولس بعدما استخرج أنواع الخطايا كافة يقول **«وهكذا كان اناس منكم لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم بإسم يسوع وبروح إلهنا»** (١كو ٦:١١) . وقال القديس غريغوريوس الثيؤلوغوس «ما أعظم تجديف الإنسان الذى تجرأ على القول أن المعمودية لا تغفر الخطايا من أصولها ، لأن فى سر الإيمان تستأصل آثام النفس ، فتطهر وتتحد بالله وحده ، كقول الرب لبطرس (يو ١٣:١٠) **«الذى قد اغتسل ليس له حاجة إلا إلى غسل رجليه ، بل هو طاهر كله»** .

ولكى ندرك بصورة أكثر وضوحاً ، نذكر مثالاً على ذلك ما حدث لنعمان السريانى الذى عندما اغتسل سبع مرات بنهر الأردن ، تطهر من برصه وأصبح جسمه كجسم الطفل كما يخبرنا الكتاب المقدس (٢مل ٥:١٤) .

---

(١) أنظر كتابنا : مفهوم التبرير بين الكنيسة الإنجيلية والكنيسة الأرثوذكسية - ١٩٨٩ - ص ١٠ ، ١١ .

وهنا نواجه السؤال التالى : إذا كانت المعمودية تطهر الإنسان من الخطايا كافة ، فلماذا إذن لا ينجو المؤمن من عذابات هذه الحياة ويرتفع بقوة نعمة العماد المقدس إلى درجات الكمال التى كان فيها آدم أبو الجنس البشرى قبل سقوطه فى الخطية ؟ فنجيب أن هذا عائد لسببين :

أولاً : إذا كان ربنا يسوع المسيح القدوس الذى لم توجد فيه خطية قد تعرض للتجارب العديدة فى حياته على الأرض ، ولم يدخل إلى مجد الحياة الخالدة إلا بعد تحمله الآلام المريرة والموت القاسى ، وقام من بين الأموات منتصراً ، فهل يعد من الغرابة إذن أن يتعرض المؤمنون ، وهم لابسون جسد الخطية الفاسد ، حتى بعد إكتسابهم نعمة التبرير الإلهى بالمعمودية ، للتجارب وأن يحتملوا آلام الجسد ، وحتى أن يذوقوا الموت من أجل المسيح ، لكى يستحقوا أن يقوموا معه فى اليوم الأخير ويتنعموا فى الحياة الأبدية .

ثانياً : إن ضعف الجسد والأمراض والآلام والشهوة وغيرها ، تلبث فى المؤمن بعد المعمودية ، لتكون واسطة لترويضه على الفضيلة التى منها تجنى ثمار المجد . فعندما يتحمل المؤمن عذابات هذه الحياة بصبر جميل واتكال على مؤازرة المعونة الإلهية ، وبرجاء راسخ صادق ، يحفظ اكليل البر الذى يهبه له الرب الديان العادل فى ذلك اليوم ، لأنه جاهد جهاداً حسناً وأكمل السعى وحفظ الإيمان كقول الرسول (٢تى ٤:٧) . وهذا يشبه ما فعله الله مع بنى إسرائيل عندما أنقذهم من عبودية المصريين وإجتاز بهم البحر الأحمر ، لم يدخلهم إلى أرض الميعاد مباشرة ، بل جربهم فى برية سيناء مدة أربعين سنة بأمور شتى لإمتحانهم ، واختيار طاعتهم له ، وصدق عبادتهم إياه ، ومن فاز منهم فقط إستحق أن يرث الأرض (قض ٣:٤) .

أضف إلى هذا كله ، لو كانت المعمودية تمنح نعماً جسدية إلى جانب الهبات الروحية ، لكان هنالك مجال للشك فى كثير ممن يطلبونها ، أنهم يرغبون فيها طمعاً بالخيرات الزمنية ، لا بالأمجاد السماوية المرجوة فى الحياة العتيدة ، لأن المسيحى الحقيقى لا ينظر **«إلى الأشياء**

التى ترى بل إلى التى لا ترى ، لأن التى ترى وقتية ، وأما التى لا ترى فأبدية» (٢كو ١٨:٤) .

أما الإستنارة ، المفعول الثانى الرئيسى للمعمودية ، فهى إستنارة القلب بالنعمة الإلهية والفضائل السماوية التى بواسطتها يصبح المؤمن باراً وابناً لله (يو ١٢:١) وارثاً للحياة الأبدية (رو ١٧:٨) . وهنا أيضاً نواجه السؤال التالى : كيف يمكن للذين نالوا المواهب الروحية وحصلوا على العطايا السماوية ، واستنيروا بواسطة المعمودية ، أن يتهاونوا فى ممارسة أعمال الصلاح والتحلى بالفضائل المسيحية ؟ فنجيب على ذلك : إن كان حائزاً على هذه المواهب الروحية ، إلا أنه لا يزال فى صراع شديد مع عدو الجنس البشرى (أف ١٢:٦) فلا يليق ، إذن أن يتخاذل فى هذا الجهاد ، بل أن يتكل على رحمة الله ويرجو رجاء مباركاً لممارسة أعمال الصلاح بإستمرار ، وأن يضع نصب عينيه على الدوام ما هو طاهر وجليل .

(الأسرار السبعة بحسب معتقد وطقس الكنيسة السريانية الأرثوذكسية ، تأليف : المطران (حالياً البطريرك) سويريوس زكا عيواص والأب الربان (حالياً المطران) اسحق ساكا - بغداد - طبعة أولى ١٩٧٠ ص ٣٢ - ٣٥) .

ثانياً : الذنب والإدانة

إن السمة الأساسية للخطية - فيما يشرح بإفاضة الأستاذ اندروتسوس ، فى كتابه عن عقيدة الكنيسة الشرقية (باللغة اليونانية) والذى أشرنا اليه سابقاً - وما يعطى للخطية سجيتها كخطية ، هو الذنب . وإن ما قلناه سابقاً عن الخطية الأصلية وعموميتها ، هو فى نفس الوقت شهادة عن الخطية كذنب . وبدون الذنب تكف الخطية عن أن تكون خطية وتصبح عملاً ناقصاً غير كامل ، أو مجرد عيب طبيعى . إن الذنب هو العلاقة بين الإنسان الخاطىء وبر الله أو الله . أى أن الخاطىء يتعدى الناموس الإلهى أو يضر بالنظام الإلهى ، وعلى هذا النحو

يصير تحت القصاص ويجب العمل على ما فيه ترضية للناموس الإلهى وإعادة النظام الذى أصابه الخلل إلى ما كان عليه أولاً .

وخاصية الخطية كذنب ، تظهر بشكل واضح فى خطايا الإنسان الشخصية . ولكنه لأنه حيث توجد خطية ، فهناك الذنب ، فإن الخطية هى من ناحية العمل الخارجى أو الداخلى الفعلى الكائن (peccatum actuale) وهى أيضاً فى نفس الوقت حالة الخطية (peccatum habituale)، توجد كأساس لجميع الخطايا الجزئية ، تغذى هذه الخطايا وتدعمها .

وعلى هذا ، فإن الذنب يوجد ، ليس فقط فى الخطايا الجزئية التى نقترفها ، ولكن أيضاً فى كل حالة من حالات خطايانا ، فإذا كانت الخطية الأصلية هى من ناحية تعدى آدم على وصية الله ، فهى أيضاً من ناحية أخرى ، حالة خطية نتجت عن المخالفات والتعدى ، وأعطيت ونقلت إلينا ، تناوىء على السواء الناموس الإلهى . وهكذا يبدو أن الخطية الأصلية نقلت إلينا ، ليس كخطية آدم الشخصية بطريقة مباشرة (كما يقول الرسول بولس : لكن قد ملك الموت من آدم إلى موسى وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدى آدم الذى هو مثال الآتى رو ١٤:١) ، بل نقلت لنا كحالة خطية (vitiositas) لكل واحد . ولقد دعى هذا الإنتقال لخطيئة آدم بأنه «غير مباشر» . وعلى هذا النحو فقط يمكن أن نفسر إرتباط الخطيئة الأصلية بالذنب فى عقيدة الكنيسة الشرقية ، وبهذا يمكن أن نقدم الحل لمشكلة الذنب فى الخطيئة الأصلية ، أى كيف نقول عن الجنس البشرى أنه مذنب بخطيئة آدم ، وان كل إنسان يولد مذنباً وتحت القصاص ، على الرغم من أنه لم يرتكب خطيئة آدم بطريق مباشر . إن الفساد الطبيعى هو قصاص عن الخطيئة الأصلية ، وهو يتضمن القول بأن الإنسان ورث عن آدم الخطيئة الأصلية والذنب .

ولو أننا نظرنا إلى الفساد على أنه مجرد نقص طبيعى أو مجرد نتيجة لخطيئة آدم ، فسوف يحتاج الأمر أن نفسر ، كيف أن الله البار العادل ، يحاسب الإنسان على هذا الفساد ، ويعاقب من لم يذنبوا فى عصيان آدم ، ولكنهم فقط ورثوا ما نتج عن خطيئة آدم من نقص طبيعى .

إن المشكلة الصعبة ، التى من أجلها تبدو أمامنا الخطيئة الأصلية كمشكلة غير مدركة ، تتمثل فى عنصر «حرية الإرادة» الذى لا يوجد بلا شك فى الخطيئة الوراثية . فإذا كانت تصدق القضية ، بأنه حيث توجد الخطية والذنب ، فهناك حرية الإرادة ـ كما هو منطق العقل ـ فإننا بلا شك سوف نكون أمام مشكلة من أصعب المشاكل ، ومما لا يمكن أن نقدم لها حلولاً . ومن أجل هذه الصعوبة ، فإن البيلاجيين وبعض اللاهوتيين الحديثين ، لجأوا إلى إنكار وراثة الخطيئة الأصلية .

على أننا نتساءل هنا :

أن الكثيرين من اللاهوتيين القدامى والحديثين أجهدوا أنفسهم حتى يخضعوا الحديث عن الخطيئة الأصلية لمنطق العقل البشرى . فهل كان هذا هو الطريق السليم فى معالجتها ، وهل يمكن عن طريق المنطق أو العقل البشرى ، أن ننزع الحجاب السرى الذى يحيط بهذه القضية ، وما هو نصيب الإيمان فى هذه القضية ؟

إن كثيراً من التفسيرات التى قال بها اللاهوتيون ، إنتقلت إلى عقائد الكنيسة وتعاليمها . لذلك كان من الضرورى علينا أن نشير إلى بعضها الهام . ويمكن أن نعرض التفسيرات الهامة عن الخطية الأصلية والذنب ، فى هذه الإتجاهات الثلاث التالية :

١ ـ إن الله يحسب على الجنس البشرى خطيئة آدم الشخصية خارجياً ، بمعنى أن الخطية الأصلية هى فقط خطيئة آدم ، لا توجد إلا فيه وحده ، إلا أن الله حسب هذه الخطية خارجياً

على الجنس البشرى ، بإعتباره متناسلاً من آدم ، أو بإعتبار أننا أولاد آدم . على أن هذا التعليم لا يجد له سنداً فى الكتاب المقدس ، وأكثر من ذلك فإنه يضاد عدالة الله . فإن الله لا يمكن أن يحسب خاطئاً من لم يقترف الخطيئة ، ولا يمكن أن يفرض القصاص والعقوبة على من لا يقترف ذنباً .

٢ ـ إن الجنس البشرى أخطأ فى آدم ، حيث أن الجنس البشرى يوجد فى آدم جوهرياً كما جاء فى (رو ٥:١٢) . وهذا التفسير الفسيولوجى أدخله أوغسطينوس وأخذ به الكثير من اللاهوتيين حتى عصرنا الحاضر .

على أنه يلاحظ أن عبارة (eph w pantes ymarton) التى وردت فى (رو ٥:١٢) ، يفسرها اللاهوتيون تفسيرات مختلفة ، ويرفض البعض القول بأنها تشير بوضوح وبالتأكيد إلى النظرية الفسيولوجية التى قال بها أوغسطينوس . فالبعض يترجم العبارة «إذ أخطأ الجميع» ، والبعض يترجمها «الذى فيه الجميع قد خطئوا» .

جاء فى ترجمة العهد الجديد (لكلية اللاهوت الحبرية ـ جامعة الروح القدس ـ الكسليك ـ لبنان) ما يلى :

«بما أن الجميع قد خطئوا» يختلف فيها الناقلون والشارحون : بعضهم يعتبرها جملة موصولية متعلقة بآدم «الذى فيه الجميع قد خطئوا» فيشرحون أن خطيئة آدم لحقت نسل آدم كله بغير استثناء ، كونه أبا للجميع ، يحوى فى صلبه الجميع . وهو المسؤول عن تسرب الخطيئة والموت إلى حياة البشر وتاريخهم . وبعضهم الآخر ، وهذا الأرجح ، يعتبرها جملة سببية مفصولة عن آدم «بما أن الجميع قد خطئوا» استناداً إلى نصوص أخرى من القديس بولس ، تبدأ بالعبارة نفسها «بما أن» «لأن» (٢كو ٥:٤ ، فى ٣:١٢ ، ٤:١٠) . والمعنى أن كل فرد من الناس حر مسؤول عن أعماله ، وإن الخطيئة قد ولدت فى قلب الإنسان الحر الأول ، ومازالت

تتولد فى قلب كل إنسان حر مسؤول ، حتى أننا لا يسعنا أن نفصل ، فى تعليل أسباب الخطيئة «التى يسميها التقليد الخطيئة الأصلية) ، خطيئة آدم عن خطيئة كل فرد من أبنائه ، فالجميع خطئوا خطايا شخصية ، فأسهموا فعلاً فى خطيئة آدم ، وأضافوا إليها شراً جديداً ، جعل الموت يسرى إليهم أجمعين (ص ٦٨٠ ، ٦٨١) .

إن ما نستطيع أن نؤكده بالنسبة لهذه العبارة ، ان الرسول بولس ، أكد بأن خطيئة آدم كانت أصلاً ومنبعاً لخطايا الجنس البشرى ، ولكن الرسول بولس ، وكذلك جميع كتاب العهد الجديد بأكملهم ، لم يوضحوا كيف إنتقلت خطيئة آدم إلى الجنس البشرى ، وكيف صار آدم أصلاً وسبباً لخطيئة الجنس البشرى ، ولذلك يذهب البعض إلى القول ، أنه من الوجهة الكتابية ، لا يجد التفسير الفسيولوجى للخطية الذى قال به أوغسطينوس سنداً ، ويرى اندروتسو ، اللاهوتى اليونانى الأرثوذكسى ، أن عبارة «الذى فيه الجميع قد خطئوا» ، تعنى بحسب نظرية أوغسطينوس ما يلى :

١ - إما إن البشر جميعاً ، كانوا بوجه عام ، يوجدون سابقاً فى آدم كأشخاص معه ، يفكرون ويريدون .

٢ - وإما أن إرادة آدم لم تكن إرادة شخصية ، ولكنها إرادة الجنس البشرى بأكمله ، بمعنى أن أى عمل يعمله آدم هو فى نفس الوقت ، عمل الجنس البشرى بأكمله .

وبالنسبة للمفهوم الأول للنظرية ، يعترض البعض على أن هذا يعنى أن آدم «كجنس وليس كفرد» يضم فى ذاته حقيقة كل فرد من أفراد الجنس البشرى ، الذين هم فى حقيقة الأمر ليسوا إلا ظهوراً لجوهر آدم .

وبالنسبة للمفهوم الثانى ، يعترض البعض ، بأن هذا يعنى أن إرادة آدم لا تمثل إرادته الشخصية بل تمثل إرادة الجنس البشرى . فيرفضون هذا المفهوم على أساس إن إرادة أى

شخص هى إرادته الخاصة ، وعلى ذلك فإن إرادات البشر يمكن أن توجد فى إرادة آدم، ولكن ليس كإرادات شخصية وفعلية ، ولكن فقط بوجه عام وبالقوة من حيث وحدة الجنس البشرى وتناسله من آدم ، فالجنس البشرى يوجد بالقوة فى آدم ، والذى منه ، كأصل للجنس البشرى - حسب ترتيب الله - تنبت شجرة الجنس البشرى . فإذا كان حقاً أن الجسم العضوى لكل إنسان يوجد بالقوة فى آدم ، وكذلك فإن الإستعدادات النفسية والميول والطبائع المختلفة تعطى جزئياً بالوراثة ، فإنه من غير المقبول ، كما يؤكد البعض ، الحديث عن وراثة العلاقات والحالات الأخلاقية .

٢ - إن آدم أخطأ - ولكن ليس كشخص ، ولكن بإسم الجنس البشرى كله ، أى كممثل ووكيل للجنس البشرى كله ، كمثال للمسيح آدم الثانى الذى قدم ذاته بدلاً من الجنس البشرى كله ولأجل الجنس البشرى كله وينوب عنه .

ولكن يثار أيضاً الإختلاف بين علاقة آدم بالجنس البشرى ، وبين علاقة السيد المسيح به ، على النحو التالى :

إن السيد المسيح بلا شك يمثل الجنس البشرى ، لكن الإشتراك فى ثمر الفداء الذى قدمه السيد المسيح للبشرية جمعاء ، يحصل عليه المرء فقط منذ اللحظة التى يؤمن فيها بالمسيح ويولد ميلاد روحياً بالمعمودية ، بينما أن خطيئة آدم تعطى للجنس البشرى بأكمله وراثياً ، أى يولد بها الإنسان .

ثم أن هناك من يعترض على القول بأن آدم ينوب عن البشرية كوكيل لها ، على أساس أن آدم لم يحدث أنه تسلم من الله هذه الوكالة ، وأنه لا يمكن أن ينوب عن أشخاص سوف يأتون بعده فى الزمن بمئات وآلاف السنين ، ثم كيف يتعلق مصير البشر بأكملهم بقرار يصدر عن شخص واحد ينوب عنهم ، وجاء فى الزمن قبلهم . ولا يقتنع أصحاب هذا الإعتراض بالقول بأن آدم لو لم يخطىء ، كان أيضاً سوف ينوب عن البشرية فى حالة السعادة التى

سوف يشاركه فيها الجنس البشرى بأكمله .

ولم يعد لنا بعد كل هذه المناقشات ، إلا أن نتقبل موضوع الخطية الأصلية ، من حيث وراثتنا للخطية وللذنب ، كقضية إيمانية ، وأننا نوجد إزاء سر يعلو عن أن يحيط به ، أو يدركه العقل البشرى ، على الرغم من أن الخبرة البشرية والتاريخ فضلاً عن الكتاب المقدس والتقليد ، تؤكد جميعها صحة التعليم بوراثة الخطيئة الأصلية وأن الخطيئة الأصلية إنتقلت من آدم إلى كل البشر المتناسلين منه . ولذلك يكفى لنا أن نفهم الخطيئة الأصلية فهماً صحيحاً .

ونلخص هذا الفهم فيما يلي :

١ ـ أننا ورثنا الخطيئة الأصلية من آدم .

٢ ـ أننا ولدنا في حالة ذنب وتحت القصاص .

٣ ـ وأننا نفهم قصاص الخطيئة ونتائجها علي النحو التالي :

ثالثاً : من حيث القصاص والنتائج المترتبة عليها

١ ـ كان التحذير لآدم منذ البداية ، إذا أخطأ ، يتمثل فى القصاص التالى :

«وأوصى الرب آدم قائلاً من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً ، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها ، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت» (تك ٢:١٦ ، ١٧) .

«فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت . فقال سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فإختبأت . فقال من أعلمك أنك عريان . هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها . فقال آدم المرأة التى جعلتها معى

هى أعطتنى من الشجرة فأكلت . فقال الرب الإله للمرأة ما هذا الذى فعلت . فقالت المرأة الحية أغرتنى فأكلت . فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية . على بطنك تسعين وتراباً تأكلين كل أيام حياتك . وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه . وقال للمرأة تكثيراً أكثر أتعاب حبلك . بالوجع تلدين أولاداً ، وإلى رجلك يكون إشتياقك وهو يسود عليك . وقال لآدم لأنك سمعت لقول إمرأتك وأكلت من الشجرة التى أوصيتك قائلاً لا تأكل منها ملعونة الأرض بسببك . بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك . وشوكاً وحسكاً تنبت لك وتأكل عشب الحقل . بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها ، لأنك تراب وإلى التراب تعود» (تك ٣: ٩ - ١٩) .

«وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر . والآن لعله يمد يده ، يأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد . فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أخذ منها . **فطرد الإنسان وأقام شرقى جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة»** (تك ٣: ٢٢ - ٢٤) .

٢ - ويقول الرسول بولس **«من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت ، وهكذا إجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع» (أو الذى فيه الجميع قد خطئوا)** (رو ٥: ١٢) .

كذلك تظهر آثار الخطيئة الأصلية فى المقارنة مع حالة النعمة . يقول الرسول بولس **«لكن قد ملك الموت من آدم إلى موسى وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدى آدم الذى هو مثال الآتى . ولكن ليس كالخطية هكذا أيضاً الهبة . لأنه إن**

كان بخطية واحد مات الكثيرون ، فبالأولى كثيراً نعمة الله والعطية بالنعمة التى بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد إزدادت للكثيرين . وليس كما بواحد قد أخطأ هكذا العطية . لأن الحكم من واحد للدينونة ، وأما الهبة فمن جرى خطايا كثيرة للتبرير . لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد ، فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون فى الحياة بالواحد يسوع المسيح . فإذن كما بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة . لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة ، هكذا أيضاً بإطاعة الواحد جعل الكثيرون أبراراً . وأما الناموس فدخل لكى تكثر الخطية ، ولكن حيث كثرت الخطية إزدادت النعمة جداً ، حتى كما ملكت الخطية فى الموت ، هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا» (رو ٥:١٤ - ٢١) .

٣ - الموت يؤخذ بمعناه المادى (إنفصال النفس عن الجسد) ولكنه أيضاً يتضمن المعنى الرحى (إنفصال الإنسان عن الله) ، حيث يوضع الموت فى مقابل البر ، عندما يقول الرسول بولس **«الستم تعلمون أن الذى تقدمون ذواتكم له عبيداً للطاعة ، أنتم عبيد للذى تطيعونه ، إما للخطية للموت أو للطاعة للبر»** (رو ٦:١٦) .

٤ - نأخذ فى الإعتبار ما قلناه سابقاً من أن الخطيئة الأصلية لم تنته إلى تحطيم القوى الأخلاقية والروحية فى الإنسان تحطيماً كاملاً ، ولكن أصابتها جميعاً بالضعف الروحى .

٥ - إن كل ما حل بالبشرية من قصاص بسبب خطيئة آدم ، قد رفع أو فقد خصائصه كقصاص ، فى الخلاص المقدم لنا بدم يسوع المسيح . فالشدائد والضيقات بأنواعها المختلفة ، إستخدمت عند أبناء الله ، كدوافع لعمل الخير وكعلامات لتمجيد إسم الله .

«أجاب يسوع ، لا هذا أخطأ ولا أبواه ، لكن لتظهر أعمال الله فيه» (يو ٩:٣) .

«ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله ، الذين هم مدعوون حسب قصده» (رو ٨:٢٨) .

لقد رفع الموت الأبدى ، بالمسيح يسوع . وكذلك فإن الموت الطبيعى فقد صورته المرعبة المرتبطة بالفساد والإنحلال .

«أين شوكتك ياموت . أين غلبتك ياهاوية» (١كو ١٥:٥٥) .

«ويعتق أولئك ، الذين خوفاً من الموت ، كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية» (عب ٢:١٥) .



الباب الثانى

١ - شهادة الكنيسة عن عمومية الخطيئة الأصلية وآثارها السيئة على الجنس البشرى .

٢ - أمثلة لتعاليم بعض الآباء عن الخطيئة الأصلية وآثارها (يوستينوس - ثيؤفيلس الأنطاكى - ايريناوس - هيبوليتس - اكليمنضس الاسكندرى - اوريجينوس - اثناسيوس الرسولى - باسيليوس الكبير غريغوريوس النيسى - يوحنا ذهبى الفم - مكاريوس الكبير - كيرلس الكبير - ديديموس الضرير - مار افرام السريانى)



١ـ شهادة الكنيسة

عن عمومية الخطيئة الأصلية وآثارها السيئة على الجنس البشرى

١ ـ يوستينوس	dialog. 95,1 + 88,4 + 100
٢ ـ تاتيان	Log. Ellyn . 11
٣ ـ ثيئوفيلس الأنطاكى	B Autol . 25,27
٤ ـ ترتليانس	De anima C. 40
	De testim . 111
٥ ـ كبريانوس	De opere et elem. Cap. 1
	Epist. 65,5
٦ ـ ايريناوس	Elegchos 111, 18 ,7 + 22,4
	ibid v,16 + 111 , 18 + 11,4
٧ ـ اكليمنضس	paidag. 3,12
	protrept. 11
٨ ـ أوريجينوس	arch. 11,1x , 6

Louk . hom. 14

Rwm . 5 , 1 , 4 + 3,3

Leuit . Hom. x 11, 4

٩ - أثناسيوس — Aneian . Log. A,51 + 3,33

١٠ - باسيليوس الكبير — Hom . Lim . auchm . 7

١١ - غريغوريوس النزينزى — Log. 19 , 13 + 22, 13

١٢ - غريغوريوس النيسى — Makarismous Log. 3

katask anthr . 17

١٣ - يوحنا ذهبى الفم — Kata Kathar . Hom . 6,2

١٤ - ايسيذوروس البيلوسيوتى — Rwm. . Hom. 10 , 1

Bibl . 4, epist. 204

Bibl. 3 , epist. 195

١٥ - كيرلس الإسكندرى — Pros Rwm. 5,19

١٦ - يوحنا الدمشقى — mnym. 2,30 + 3,1 + 4,13

١٧ - امبروسيوس — Luc. 1.

De exessu fratris sui satyri 11,6

١٨ - اوغسطينوس — De nupt, et Concupise 11,v,15

De peccatorum meritis et remissione 111 . v11 , 14

Contra duas epist. pelag. 1v , C. 4 + 7

peccat. merit et remiss. C. 10 + 11

De nupt. et concup. 11. xxx1v 57

٢ـ أمثلة لتعاليم بعض الآباء عن الخطية الأصلية وآثارها

١ ـ يوستينوس : الإنسان خلق على صورة الله ، كائناً غير مائت ، لكن مخالفة حواء ولدت موتاً وفساداً ، فأتى المسيح مخلصاً (الأب ميشال نجم : مدخل إلى الآباء ـ الجزء الأول ـ منشورات معهد القديس يوحنا الدمشقى ـ البلمند ـ ١٩٨٠ ـ ص ٣٢) .

٢ ـ ثيؤفيلس الأنطاكى : الإنســان عنده ذو مرتبة رفيعة ، إذ يأتى مباشرة بعد الثالوث . خلقة الله طفلاً فى الكمال ، لكى ينمو فى معرفة الخالق ويتحد به . وبما أنه كان طفلاً فقد منعه الله أن يأكل من شجرة المعرفة ، لكنه خالف الوصية وأكل منها ـ فخسر فرصة الخلود وصار مائتاً، ويقول : أنه لم يخلق الإنسان خالداً ولا مائتاً ، إنما خلقه قابلاً للإثنين ، لكى إذا مال إلى الخلود بحفظ وصية الله ، يعطى له الخلود كمكافأة ويصبح إلهاً . ولكن إذا ما اتجه نحو الأمور المائتة مخالفاً لله ، يكون هو ذاته سبباً للموت (المرجع السابق ص ٣٦) .

٣ ـ ايريناوس أسقف ليون : الإنسان كائن مخلوق ، مختلف كلياً عن الكائنات الأخرى ، من حيث وجود الصورة الإلهية فيه . لكن بما أنه مخلوق ، فالمسافة غير متناهية بينه وبين الخالق . فعند الخالق كان طفلاً من الناحية الروحية والأخلاقية والعقلية ، وكان عليه أن ينمو ويتقدم دائماً فى المعرفة الإلهية . بمؤازرة الروح القدس . والقديس ايريناوس اهتم كثيراً بالمعرفة الإلهية التى هى المشاركة الإلهية ، قائلاً إن الإنسان يعرف الحقيقة عندما يدخل إليها ويعيش فيها . هكذا يعرف الله عندما يدخل إلى نوره . وفى شخص آدم الثانى «الإلهى ـ الإنسانى» أعاد الله خلق العالم الساقط وجدده . فهو يقول : عندما تجسد الله ضم إلى ذاته

تاريخ الإنسان الطويل ، معطياً الخلاص ، كى نحصل من جديد على الشىء الذى فقدناه مع آدم . أيضاً بما أن المعصية دخلت بواسطة حواء ، فإن عملية الشفاء تبدأ بطاعة العذراء التى يسميها حواء الثانية . إذن عمل المسيح الذى شاركت فيه العذراء هوإكمال للخلق أو إعادة له (المرجع السابق ص ٣٩) .

وأهم ما قاله ايريناوس فى المسيح ما استقاه من بولس وما قاله يوستينوس قبلاً ، وهو نظرية الإعادة والأحياء التى جعل منها محور لاهوته . فقد قال بولس إلى أهل كورنثوس فى رسالته الأولى (١٥:٤٥) «جعل الإنسان الأول آدم نفساً حية والآخر روحاً محيياً» . وقال أيضاً إلى أهل كورنثوس فى الرسالة نفسها (١٥:٢٢) **«فكما أنه فى آدم يموت الجميع كذلك أيضاً فى المسيح سيحيا الجميع»** . وقال ايريناوس (٣:١٦ - ٢٢) إن المسيح آدم الثانى أعاد بالطريقة التى تجسد فيها آدم الأول . وكما أن آدم الأول حوى فى نفسه جميع ذريته - فإن المسيح أيضاً أعاد فى نفسه جميع الشعوب حتى آدم الأول . ولما تجسد أعاد فى نفسه تسلسل الجنس البشرى مكرساً كل دور بدوره . وهكذا فإنه كما أن آدم الأول انشأ جنساً عاصياً هالكاً فإن المسيح آدم الثانى بدأ بشرية جديدة فداها بدمه . وهذا ما عناه بولس بقوله إلى أهل أفسس (١:١٠) **«أن يجمع تحت رأس واحد فى المسيح كل ما فى السموات وما عل الأرض»** (أسد رستم : آباء الكنيسة فى القرون الثلاثة الأولى - الرسوليون والمناضلون - (اللجنة اللاهوتية لكنائس الشرق الأدنى - ١٩٦٢ - ص ٩٩ ، ١٠٠) .

٤ - **هيبوليتس** : يعتبر أن الإنسان كان فى درجة متدينة فى الكمال عند الخلق ، وكان يملك امكانية الخلود ، كما قال ايريناوس قبله ، لكنه سقط ، فتجسد المسيح موجداً خليقة جديدة . صار إنساناً حقيقياً وليس إنساناً خيالياً ، وأعطى الناس الخلود (ميشال نجم : نفس المرجع السابق ص ٤١) .

٥ ـ اكليمنضس الإسكندرى : الإنسان يملك صورة الله فيه . لكن الإنسان أخطأ بإرادته فأضاع طريق الكمال . والآن فى المسيحية يبتدىء الإنسان بالإيمان ، وينمو مجاهداً حتى يصل إلى الحب الحقيقى لله الذى هو الكمال والتأله (المرجع السابق ص ٤٥) .

٦ ـ أوريجينوس : يعترف اوريجينوس بالخطيئة الأصلية وبوجوب معمودية الأطفال . أو لم يقل داود «إنى فى الإثم ولدت وفى الخطيئة حبلت بى أمى» . وهكذا فإنه ليس أحد طاهراً ولو كان ابن يوم واحد . ونعمة المعمودية ضرورية حتى للأطفال الذين لم يقعوا فى الخطيئة . ولقد تسلمت الكنيسة تقليداً من الرسل يوجب المعمودية حتى للأطفال . فالأمناء على الأسرار الإلهية عرفوا حق المعرفة أن الجميع ملطخون بالخطيئة الأصلية ، وأنه لابد من غسل هذه الخطيئة بالماء والروح (التعليق على الرسالة إلى أهل رومية ٩:٥) ـ (أسد رستم : نفس المرجع ص ١٣٣) .

٧ ـ القديس أثناسيوس الرسولى :

أولاً : خلقة الإنسان على صورة الله ، وحالته قبل الخطية :

يقول القديس أثناسيوس الرسولى :

لأن الله صالح أو بالحرى لابد أن يكون هو مصدر الصلاح ، والصالح لا يمكن أن يبخل بأى شىء لذلك فإنه ، إذ لا يضن بنعمة الوجود على أى شىء ، خلق كل الأشياء من العدم بكلمته ـ يسوع المسيح ربنا ـ وفضلاً عن ذلك ، فإنه إذ أشفق بصفة خاصة على الجنس البشرى دون سائر المخلوقات على الأرض ، وإذ رأى ضعفه ـ بطبيعة تكوينه ـ عن أن يبقى فى حالة واحدة ، منحه نعمة أخرى ، فإنه لم يكتف بمجرد خلقته للإنسان كما فعل بباقى المخلوقات غير العاقلة على الأرض ، بل خلقه على صورته مثاله ، وأعطاه نصيباً حتى فى قوة

«كلمته» ، لكى يستطيع وله نوع من ظل «الكلمة» وقد خلق عاقلاً ، أن يبقى فى السعادة أبداً ويحيا الحياة الحقيقية ، حياة القديسين فى الفردوس (تجسد الكلمة ـ ترجمة القمص مرقس داود ١٩٦٠ ـ ٣:٣) .

ولكن لعلمه أيضاً أن إرادة الإنسان يمكن أن تميل إلى إحدى الجهتين (أى الخير والشر) سبق فدعم النعمة المعطاة له ، بالوصية التى قدمها إليه ، والمكان الذى أقامه فيه ، لأنه أتى به إلى جنته ، وأعطاه وصية ، حتى إذا حفظ النعمة واستمر صالحاً ، استطاع أن يحتفظ بحياته فى الفردوس بلا حزن ولا ألم ولا هم ، فضلاً عن موعد عدم الفساد فى السماء . أما إذا تعدى الوصية وارتد وأصبح شريراً ، فليعلم أنه يجلب على نفسه الفساد بالموت الذى كان يستحقه بالطبيعة ، وأنه لا يستحق الحياة فى الفردوس بعد ، بل يطرد منه من ذلك الوقت لكى يموت ويبقى فى الموت والفساد (تجسد الكلمة ٤:٣) .

وماذا يعنى بقوله «موتاً تموت» ؟ ليس المقصود مجرد الموت ، بل البقاء إلى الأبد فى فساد الموت . (تجسد الكلمة ٥:٣) .

وقال أيضاً القديس أثناسيوس فى رسالته إلى الوثنيين :

لأن الله جابل الكل ، وملك الكل ، الذى يعلو على كل جوهر ، ويعجز البشر عن إكتشافه ، نظراً لعظم صلاحه وسموه كل السمو ، خلق ـ مخلصنا يسوع المسيح بكلمته ـ الجنس البشرى على صورته ، وكون الإنسان قادراً على رؤية وإدراك الحقائق بواسطة هذه المشابهة لشخصه ، مانحاً إياه أيضاً أن يدرك ويعرف حتى أزليته ، حتى إذا ما إحتفظ بطبيعته كاملة لا ينحرف عن فكرته عن الله قط ، ولا يرتد عن شركة القديسين . بل إذا نال نعمته التى وهبها إياه ونال أيضاً قوة الله من كلمة الآب ،إستطاع أن يغتبط وتكون له شركة مع اللاهوت ، عائشاً حياة الخلود كاملة ومباركة يقيناً . لأنه إذ لا يعوق معرفته للاهوت شىء ، فإنه يحتفظ

أبداً ـ بطهارته ـ بصورة الآب ، الله الكلمة ، الذى خلق هو نفسه على صورته . وأنه ليدهش إذ يتأمل فى العناية الإلهية التى تمتد إلى الكون عن طريق «الكلمة» مرتفعاً عن كل الأشياء الحسية والمظاهر الجسدية ، متصلاً بقوة عقله بالإلهيات والأشياء التى تدرك بالعقل فى السماوات (٢:٢) .

لأنه حينما لا يتصل العقل البشرى بالأجساد ، ولا يختلط به من الخارج أى شىء من شهواتها ، بل يبقى سامياً فوقها تماماً ، ويظل مستقلاً بنفسه كما قصد به من البدء ، فإنه يتعالى إلى فوق متسامياً عن الحسيات وكل الأمور البشرية . وإذ يرى «الكلمة» ، فإنه يرى فيه أيضاً أباً «الكلمة» متلذذاً بالتأمل فيه ، ومكتسباً التجديد من الإنعطاف نحوه (٣:٢) .

وذلك تماماً كأول إنسان خلق ـ الذى سمى بالعبرانية آدم ـ إذ وصف فى الكتب المقدسة بأن عقله كان متجهاً نحو الله بحرية لا يعيقها الخجل ، وبأنه كان يشارك القديسين فى التأمل فى الأمور التى يدركها العقل ، والتى كان يتمتع بها فى المكان الذى كان فيه ـ الذى دعاه القديس موسى رمزياً بالجنة . لذلك فإن طهارة النفس كافية فى حد ذاتها للتأمل فى الله ، كما يقول الرب أيضاً **«طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله»** (٤:٢) .

ويشير القديس أثناسيوس إلى أن النفس عندما خلقت ، فقد كانت قادرة فى بساطتها أن تعرف الله مباشرة ، إذ تصور لها طبيعتها العاقلة كلمة الله الذى خلقت على صورته . وهذه الإمكانية للنفس فى أن ترى الله ، لازالت موجودة يمكن أن يسترجعها البشر لو خلعوا عنهم ثوب الخطية . يقول فى ذلك القديس أثناسيوس :

« ... على أنهم يستطيعون الرجوع ، إذا خلعوا ثوب دنس كل الشهوات الذى ارتدوه ، وانتزعوه بمثابرة ، إلى أن يتخلصوا من كل المواد الغريبة التى أثرت فى نفوسهم ، ويستطيعوا أن يظهروا نفوسهم فى بساطتها كما خلقت ، وبهذا يستطيعون أن يروا بها كلمة الآب الذى

خلقوا على صورته لأن النفس خلقت على صورة الله ومثاله ، كما تبين الكتب الإلهية حين تقول على لسان الله **«نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا»** (تك ١:٢٦) . لذلك أيضاً ، فإنها حينما تتخلص من كل أوراق الخطية التى تغطيها وتستبقى فقط شِبه الصورة فى طهارتها ، فإنه إذ تستنير هذه الصورة إستنارة كاملة ، ترى النفس يقيناً ـ كما فى مرآة ـ صورة الآب ، أى الكلمة . وبه تصل إلى فكرة الآب . الذى نعلم أن صورته هى المخلص . (٢:٣٤ ـ ٣) .

ثانياً : السقوط فى الخطيئة وآثاره

يقول القديس أثناسيوس :

لأنه (أى الإنســان) طالما كـان عـقله مـركـزاً فى الله ، ومـداومـاً على التـأمل فى الله ـ كـان متـحـولاً عن التـأمل فى الجسـد . ولكنه عندما إبتعد عن التفكير فى الله بمشورة الحية ، وبدأ يتأمل فى نفسه ، فإنهما لم يترديا إلى شهوات الجسد فحسب ، بل عرفا أنهما عريانان ، وإذ عرفا هذا خجلا . على أنهما لم يعرفا أنهما عريانان من اللباس ، بقدر ما عرفا أنهما تجردا من التـأمل فى الأمـور الإلهـية ، وحـولا ذهنهـمـا إلى الضـد . لأنهـمـا إذ إبـتـعـدا عن التـأمل فى الواحد الحق أى الله ، وعن الرغبة فيه ، فإنـهـمـا منذ تلك اللحظة إنشغلا بشـهـوات مـخـتلفة ، وشهوات الحواس الجسدانية المتعددة (الرسالة إلى الوثنيين ٣:٣) . ونتج من هذا بطبيعة الحال ، أنهما قد تولدت فيـهـمـا الرغـبـة لكل شىء بلا إسـتثناء ، بدآ يألفان هذه الرغـبات لدرجـة أنهـمـا كانا يخشيان أن يتركاها . لهذا بدأت النفس أن تخضع للجبن والخوف واللذات والتفكير فى الفناء . لأنها إذ لم تشأ أن تترك شهواتها ـ صارت تخشى الموت وانفصالها عن الجسد .

وأيضـاً إذ بدأت تشتـهى ، ووجدت أنهـا عـاجـزة عن إتمام شـهـواتها ، تعلمت إرتكاب القـتل والمظالم (٣:٤) .

وإذ ابـتـعـدت عن التـأمل فى الأمـور العـقلية ، واسـتـخـدمت لأقـصى حـد كل نـواحى نشـاط

الجسد ، وتلذذت بالتأمل فى الجسد ، ورأت أن الملذات جيدة لها ، فإنها ضلت وأساءت إستعمال إسم الخير . وظنت أن الملذات هى خلاصة الخير ، كما لو أصيب إنسان بآفة فى عقله وطلب سيفاً ليشهره ضد كل من لقيه وظن أن هذا هو العقل السليم (١:٤) .

لأنه كما كان فى إستطاعتها (أى النفس) من الناحية الواحدة أن تنعطف نحو الخير ، كذلك كان فى إستطاعتها من الناحية الأخرى أن ترفضه . ولكنها برفضها الخير إنشغل تفكيرها بطبيعة الحال فيما هو ضده . لأنها لم تستطع مطلقاً أن تمتنع عن الحركة ، فهى متحركة بالطبيعة ، وإذا كانت تعرف سلطانها على ذاتها ، فإنها كانت ترى بأنها تستطيع إستخدام أعضاء جسدها فى أحد الإتجاهين ، إما إلى ناحية الوجود ، أو إلى ناحية العدم (٣:٤) .

على أن الخير هو الموجود والشر هو العدم . إذن ، فإننى أقصد بالموجود ما هو خير ، لأن له مماثلة فى الله الموجود . وأقصد بالعدم ما هو شر ، لأنه ينحصر فى الأوهام الباطلة فى أفكار البشر (٤:٤) .

ويقول القديس أثناسيوس فى كتاب «تجسد الكلمة»

لأجل ذلك نزل إلى عالمنا كلمة الله ... وإذ رأى جنس الخليقة العاقلة فى طريق الهلاك ، وإن الموت يسودهم بالفساد ، وإذا رأى أيضاً أن التهديد بالموت فى حالة التعدى ، قد مكن الفساد من طبيعتنا ، وأنه لأمر شنيع أن ينحل الناموس قبل أن يتم . وإذ رأى أيضاً عدم لياقة الأمر الراهن ، وهو أن خليقته التى خلقتها يداه فى طريق الفناء ، وإذ رأى فوق هذا شر البشر المستطير وأنهم يتزايدون فيه شيئاً فشيئاً حتى أشرفوا على هوة سحيقة ، وإذ رأى أخيراً أن كل البشر كانوا تحت قصاص الموت - لهذا أشفق على جنسنا ، وترفق بضعفنا ، ورثا لفسادنا . وإذ لم يحتمل أن يرى الموت تصير له السيادة لئلا تفنى به الخليقة ، وتذهب صنعة أبيه فى البشر هباء ، فقد أخذ لنفسه جسداً لا يختلف عن جسدنا (٢:٨) . وهكذا إذ

أخذ من أجسادنا جسداً مماثلاً لطبيعتها ، وإذ كان الجميع تحت قصاص فساد الموت ، فقد بذل جسده للموت عوضاً عن الجميع وقدمه للآب (٤:٨) .

كذلك يتحدث القديس أثناسيوس عن آثار الخطيئة الأصلية فى مواضع أخرى من كتاب التجسد ، فيقول :

فالله إذن خلق الإنسان ، وقصد أن يبقى فى عدم فساد ، أما البشر ، فإذ احتقروا ورفضوا التأمل فى الله ، واخترعوا ودبروا الشر لأنفسهم فقد استحقوا حكم الموت الذى سبق انذارهم به . ومن ذلك الحين لم يبقوا بعد فى الصورة التى خلقوا عليها ، بل فسدوا حسبما أرادوا لأنفسهم ، وساد عليهم الموت كملك ، لأن تعديهم الوصية أعادهم إلى حالتهم الطبيعية ، حتى أنهم كما نشأوا من العدم ، كذلك يجب أن لا يتوقعوا إلا الفساد الذى يؤدى إلى العدم مع توالى الزمن (٤:٤) ، «لأنهم إن كانوا بحضور «الكلمة» وتعطفه ، قد دعوا إلى الوجود من الحالة الطبيعية الأولى وهى عدم الوجود ، فإنهم بطبيعة الحال متى تجردوا من معرفة الله وعادوا إلى العدم (لأن كل ما هو شر فهو عدم ، وكل ما هو خير فهو كائن وموجود) ، ويجب أن تكون النتيجة بطبيعة الحال الحرمان إلى الأبد من الوجود ، طالما كانوا يستمدون وجودهم من الله الموجود . وبتعبير آخر ، يجب أن تكون النتيجة الإنحلال ، وبالتالى البقاء فى حالة الموت والفساد» (٥:٤) . **«لأن الإنسان إذ خلق من العدم فإنه فانٍ بطبيعته، على أنه بفضل خلقته على صورة الله الكائن ، كان ممكناً أن ينجو من الفساد الطبيعى ويبقى فى عدم فساد ، ولو أنه احتفظ بتلك الصورة ، بإبقاء الله فى معرفته ، كما تقول الحكمة «حفظ الشرائع تحقيق عدم البلى»** . ولكنه إذ كان فى عدم فساد ، كان ممكناً أن يعيش كالله منذ ذلك الوقت ، وإلى هذا يشير الكتاب المقدس على الأرجح عندما يقول

«أنا قلت أنكم آلهة وبنو العلى كلكم . لكن مثل الناس تموتون وكأحد الرؤساء تسقطون» (مز ٨٢: ٦ ، ٧) (تجسد الكلمة ٤: ٦) ، «لأن الله لم يكتف بأن يخلقنا من العدم ، ولكنه أيضاً وهبنا مجاناً ، بنعمة الكلمة ، حياة منسجمة مع الله . ولكن البشر إذ رفضوا الأمور الأبدية وتحولوا إلى الأمور الفاسدة بمشورة الشيطان ، صاروا سبباً لفساد أنفسهم بالموت ، لأنهم بالطبيعة فاسدون ، ولكنهم تعينوا للخلاص من حالتهم الطبيعية ، بنعمة إشتراكهم فى الكلمة ، إن استمروا صالحين (٥: ١) ، «ولأن الكلمة سكن فيهم ، فحتى فسادهم الطبيعى لم يجسر أن يقترب منهم ، كما تقول الحكمة أيضاً «لأن الله خلق الإنسان فى عدم البلى (أى خالداً) وصنعه على صورة أزليته ، ولكن بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم (حكمة ٢: ٢٣ ، ٢٤) . وعندما تم ذلك بدأ البشر يموتون ، وساد عليهم الفساد من ذلك الوقت فصاعداً ، وصار له سلطان على الجنس البشرى أكثر من سطانه الطبيعى ، لأنه أتى نتيجة تهديد الله فى حال عصيان الوصية» (٥: ٢) .

ثالثاً : الحاجة إلى التجسد لقهر الموت الناتج عن الخطيئة :

يقول القديس أثناسيوس الرسولى ، فى الفصل الرابع والأربعين من كتاب «تجسد الكلمة» :

ولعلهم يفضلون أن يقولوا أن الله إن كان قد أراد أن يصلح البشرية ويخلصها ، وجب أن يتمم ذلك بمجرد نطق ملكى كريم ، دون حاجة إلى تجسد «الكلمة» أى بنفس الطريقة التى اتبعها سابقاً عندما أوجدهم من العدم .

أما عن اعتراضهم هذا فنجيبهم جواباً معقولاً قائلين : إنه سابقاً لم يكن شىء موجوداً على الإطلاق ، فالذى كان مطلوباً لخلقة كل شىء هو النطق الملكى ، ثم مجرد الإرادة لإتمام ذلك . أما وقد خلق الإنسان ، وأصبح الأمر يحتاج بطبيعة الحال إلى علاج ما هو موجود ، لا ما هو ليس موجوداً ، دعت الضرورة بطبيعة الحال أن يظهر الطبيب والمخلص فيما وجد

ووصل إلى تلك الحال ، لكى يبرىء ما وجد . لهذا السبب تأنس واستخدم جسده أداة بشرية .

وإن لم تكن هذه الطريقة المثلى ، فكيف كان ممكناً «للكلمة» - وقد إختار أن يستخدم أداة - أن يظهر ؟ ومن أين كان من الممكن أن يتخذها سوى من الموجودين فعلاً ، الذين هم فى حاجة إلى لاهوته بواسطة شخص مشابه لهم ؟ لأن الخلاص لم يكن مطلوباً لما ليس له وجود ، حتى كان يكفى مجرد صدور أمر ، ولكن الإنسان الذى كان موجوداً فعلاً ، كان منحدراً إلى الفساد والهلاك . لهذا كان طبيعياً وعدلاً أن يستخدم «الكلمة» أداة بشرية ويعلن نفسه فى كل مكان .

ثم يجب أن تعلم أيضاً أن الفساد الذى حصل ، لم يكن خارج الجسد ، بل لصق به ، وكان مطلوباً أن تلصق به الحياة عوض الفساد ، حتى كما تمكن الموت من الجسد ، تتمكن منه الحياة أيضاً .

والآن لو كان الموت خارج الجسد ، لكان من اللائق أن تتصل به الحياة من الخارج . أما وقد صار الموت ممتزجاً بالجسد وسائراً عليه ، كما لو كان متحداً به ، فكان مطلوباً أن تمتزج الحياة بالجسد أيضاً ، حتى إذا ما لبس الجسد الحياة بدل الموت ، نزع عنه الفساد . وفضلاً عن هذا ، فإنه لو إفترضنا أن «الكلمة» جاء خارج الجسد وليس فيه ، لكان الموت قد غلب منه (من المسيح) وفقاً للطبيعة ، إذ ليس للموت سلطان على الحياة ، أما الفساد اللاصق بالجسد فكان قد بقى فيه رغم ذلك .

لهذا السبب كان معقولاً جداً أن يلبس المخلص جسداً ، حتى إذا ما اتحد الجسد «بالحياة» لا يبقى فى الموت كمائت ، بل يقوم إلى عدم الموت إذ لبس عدم الموت . وما دام قد لبس الفساد ، فما كان ممكناً أن يقوم ثانية ما لم يكن قد لبس الحياة . كذلك لم يكن ممكناً أن يظهر الموت إلا فى الجسد وفقاً لطبيعته ، لهذا لبس (المسيح) جسداً لكى يجد الموت فى

الجسد ويبيده ، لأنه كيف كان ممكناً إقامة الدليل على أن الرب هو «الحياة» لو لم يكن قد أحيا ما كان مائتاً (أى قابلاً للموت) .

والمعلوم إن القش (أو القصب) تفنيه النار بطبيعة الحال . فلنفرض . (أولاً) إن إنساناً أبعد النار عن القش ، فإن القش ولو لم يحترق يبقى رغماً عن ذلك مجرد قش يخشى خطر النار لأن للنار خاصية إحراقه . (ثانياً) بينما لو أحاطه بمادة الاسبستوس ـ التى يقال عنها أنها تصمد أمام النار ـ فإن القش لا يرهب النار فيما بعد ، إذ قد تحصن بإحاطته بمادة غير قابلة للإحتراق . كذلك أيضاً ، بنفس هذه الطريقة ، يستطيع المرء أن يقول عن الجسد والموت ، أنه لو كان الموت قد أبعد عن الجسد بمجرد إصدار أمر منه ، لبقى ـ رغم ذلك ـ قابلاً للموت والفساد حسب طبيعة الأجساد ، ولكن لكى لا يكون هذا حال الجسد ، فقد لبس (الجسد) كلمة الله الخالى من الجسد ، ولذلك فإنه لا يعود يرهب الموت أو الفساد لأنه لبس الحياة كثوب ، ولأن الفساد قد أبيد فيه (٤٤ : ١ـ ٨) .

٨ ـ باسيليوس الكبير : الإنسان خلق ليتقدم فى الصلاح ، لأنه هو أيضاً خلق من أجل الإتحاد بربه ومن أجل تمجيده ، إذ هو يختلف عن كل الكائنات الأرضية من حيث أنه مخلوق على صورة الخالق ، ومن حيث أن الله قد خلقه بيده وليس بكلمته ... لكنه سقط من جراء سوء إستعمال إرادته الحرة ، فتملكت الخطيئة وساد الشرفى العالم . الشر ليس مخلوقاً ، لأن الله لم يخلق أى شر ، وليس غير مخلوق لأنه يتواجد مع الخير . إنه ليس سوى نقصان الخير والصلاح ولذلك يقود الإنسان إلى الألم والموت(ميشال نجم : نفس المرجع ص ٧٥) .

ويقول القديس باسيليوس : تدبير الله مخلصنا بشأن الإنسان دعوة من السقطة وإرتقاء إلى معية الله من البعد الناجم عن المخالفة الحاصلة . فلهذه الغاية كانت إقامة المسيح فى جسد وأمثلة حياته الإنجيلية : الآلام والصليب والدفن والقيامة ، حتى أصبح الإنسان المخلص

يستطيع بإقتدائه بالمسيح الحصول على تلك البنوة الإلهية القديمة ... وذلك أن أمامنا غايتين للمعمودية : إبطال جسد الخطيئة لئلا يثمر للموت وبعث الحياة بالروح ليكون الثمر للقداسة . فالماء يحمل فيه صورة الموت ، كأنما الجسد موضوع فى قبر ، أما الروح فيبعث قوة محيية يجدد بها نفوسنا من موت الخطيئة إلى الحياة الأصلية . هذا إذن ما يسمى بالولادة من فوق بالماء والروح . فكما يتم الموت فى الماء كذلك تنتعش حياتنا بالروح (مقال عن الروح القدس - عربه الارشمندريت ادريانوس شكور - لبنان - ١٩٧٩ ص ٥٧ - ٥٩) .

«بالروح القدس إستعادة سكنانا فى الفردوس ، صعودنا إلى ملكوت السموات ، عودتنا إلى البنوة الإلهية ، دالتنا لتسمية الله «أبانا» اشتراكنا فى نعمة المسيح ، تسميتنا أبناء النور ، حقنا فى المجد الأبدى» (المرجع السابق ص ٥٩ ، ٦٠) .

٩ - **غريغوريوس اللاهوتى** : عند الخلق وهب الله للإنسان حرية الإرادة ، فأساء الإنسان إستعمال هذه الإرادة . لذا سقط ولبس الجسد المائت والكثيف ، أى فقد لطافة الجسد الأولى (ميشال نجم : نفس المرجع ص ٨٢) .

١٠ - غريغوريوس النيسى [1]

أولاً : حالة الإنسان قبل السقوط

حينما خلق الله الإنسان ، خلقه على صورته غير الفاسدة ، ومنحه نعمة التفكير والعقل . وكان الإنسان أولاً لا يوجد فيه أى إنحراف نحو الشهوة والفساد ، لأن صورة الله كانت مطابقة للأصل الذى خلقت عليه . ولكن عناصر الشهوة نتجت بعد ذلك . وكان الإنسان يمتلك حرية الإختيار ولم يكن مستبعداً لأى شيء خارجى . ولكن الإنسان خدع بعد ذلك وقادته

(١) القمص أشعياء ميخائيل : مختارات من التأملات الروحية للقديس اغريغوريوس أسقف نيصص (كنيسة الملاك ميخائيل بالظاهر - القاهرة - ١٩٨٤) .

حرية إرادته إلى كارثة الإشتراك فى الفساد ، لأن الإنسان سمح لنفسه أن يدخل فيه الشر . لأن الشر غير موجود فى الله ، فهو غير موجود أيضاً فى صورة الله الذى هو الإنسان . كان آدم عرياناً ، وكان يبصر وجه الله بدون خجل . وكانت كل مسرته فى الله فقط . وقد خلق الله له معيناً وأعطاها له حتى لا يكون وحيداً . ولم يعرفها حتى طرد كلاهما من الجنة (تك ٤:١) ، (القمص أشعياء : مختارات للقديس غريغوريوس ص ٣١) .

ثانياً : السقوط

الله لم يخلق الفساد قط ولكن الإنسان نفسه هو الذى أوجد الشر والفساد . الإنسان الأول هو الذى أوجد كل الشر بإرادته ، وكان عنده القدرة أن يختار كل الحسن والأفضل . لقد خالف الفضيلة بإرادته المنفردة فذاق عندئذ تجربة الشر . الشر غير موجود فى الطبيعة وهو منفصل عن الإرادة الحرة . فالشر ليس جوهرياً فى طبيعة الإنسان لأن كل ما خلقه الله فهو حسن ولم يخلق الله أى شىء فاسد ، ولكن الإنسان هو الذى أوجد الشر فى حياته وذلك الشر هو سبب شقائه . ولما دخل الشر إلى جنس البشر ، تحولت الصورة الأصلية إلى طياشة وظلمة وتلوثت بالخطية ، وعندئذ لم تعد تحمل جمال صورة الله التى خلقت عليها *بالطبيعة ، وتحولت إلى صورة الشر القبيحة . وهكذا فإن الإنسان الذى كان عظيماً* ، وحسناً جداً ، كما دعاه الكتاب المقدس ، فقد قيمته التى كان يتمتع بها ، وانزلق إلى الوحل وتلطخ وجهه . وسقط الإنسان فى وحل الخطية ، وفقد صورته التى على مثال الله الأبدى ولبس صورة التراب الفاسد .

هذه هى خطوات السقوط فى الخطية وهى رغبة معرفة الشر . لأن الإنسان أولاً كان يعرف الخير فقط ٠أما شجرة معرفة الخير والشر التى أمر الله آدم ألا يأكل منها ، فهى ترمز إلى عدم معرفة الشر قط ، والإكتفاء بمعرفة الخير فقط . وعندئذ لما كان أبوانا ممنوعين عن

معرفة الشر بالإضافة إلى معرفة الخير ، لذلك كانت الوصية أن يبعدا نفسيهما عن شجرة معرفة الخير والشر (تك ٢:٩) ، لأنهما كانا يتمتعان بالخير فى نقاوته دون أن يعرفا الشر قط . وهذا معناه هو معرفة الله فقط والتمتع بالخير دون إمتزاجه بالشر الذى كانا منفصلين عنه تماماً (المرجع السابق ـ ص ٣٢ ـ ٣٦) .

ثالثاً : الرجوع إلى الحالة الأولى قبل الخطيئة :

من الممكن أن يرجع الإنسان إلى صورته الأولى ، حينما يغتسل فى المعمودية ، وعندئذ تمحى الصورة الترابية ويشرق الجمال الروحى مرة ثانية . والآن محو كل ما هو غريب عن طبيعتنا هو الرجوع إلى أصلنا ، إلى تلك الصورة الأولى التى خلقنا عليها ، وعندئذ تكمل صورة الله فينا . وهذا لا يتم بقدرتنا الذاتية ولا بأى قدرة بشرية ، ولكن هى هبة من الله يمنحنا إياها ، أن يُرجع تلك الصورة الإلهية إلى طبيعتنا البشرية ، وعندئذ نرجع إلى حالتنا الأولى التى خلقنا عليها . ولكن علينا أن ننقى أنفسنا بإرادتنا من نجاسة الخطية وعندئذ نسمح لجمال الروح المختفى أن يشرق علينا . وهذا الدرس نتعلمه من كلمات الرب يسوع المسيح حين قال بأن **«ملكوت الله داخلكم»** (لو ١٧:٢١) . وأنا أظن أن هذا النص يشير إلى نعمة الله غير المنفصلة عن طبيعتنا ، وإن هذه النعمة ليست بعيدة عن أولئك الذين إختاروا أن يبحثوا عنها لأنها فى داخلهم ، خصوصاً إذا احتقروا **«هموم الحياة وغناها ولذاتها»** (لو ٨:١٤) . وإذا كان يجب أن تثبت هذه التعاليم بطريقة أخرى ، فهى موجودة فى مثل البحث عن الدرهم المفقود الذى قاله ربنا يسوع المسيح (لو ١٥:٨ ـ ٩) ، فإن كل الفضائل الأخرى التى تشبه بالدراهم التى لم تفقد ، لم تلتفت إليها المرأة ، لكنها بحثت عن الدرهم الذى ينقصها فقط حتى مع وجود الباقى ، ولكن يجب أولاً أن تضىء شمعة ، وهذا يشير إلى العقل الذى يبحث عن الشىء المفقود . وهذه المرأة تبحث عن الدرهم المفقود فى منزلها الذى هو داخل أنفسنا .

والدرهم المفقود هنا هو صورة الله التى فينا ، التى فقدناها بسبب الخطية ولكنها مازالت مختبئة فينا ، ولكن يجب أولاً أن نزيل التراب ونزيحه عنا . والتراب هنا يرمز إلى دنس الجسد . ولذلك حينما نكنس ونمسح المكان من الأتربة ، عندئذ سوف نفرح بالعثور على هذا الدرهم المفقود ، وسوف ندعو جيراننا (قدرات الإنسان) فهذا هو الدرس الذى نتعلمه من مثل الدرهم المفقود . وهو أن نعود إلى الصورة الأصلية لله والتى هى مختبئة حالياً تحت ثقل الجسد ، وعندئذ نعود إلى حالتنا الأولى (ص ٣٣، ٣٤) .

١١ - يوحنا ذهبى الفم : الإنسان عنده مزيج من العالمين الروحى والمادى . فبواسطة الجوهر العقلى يتحد بالقوى العلوية ، وبواسطة الجوهر الحسى يرتبط بالأمور الحسية ، ولقد خلق ليكون سيد جميع المخلوقات ، ولكنه قد خسر بالسقوط سلطته على الكون وأضاع العلاقة الصحيحة التى كانت بينه وبين ربه ، وأدخل الموت إلى طبيعته . **بيد أن هذه الخطيئة الجسدية لا تنتقل إلى كل إنسان إثماً ، بل حالة الخطيئة ونتائجها** . وفى تفسيره للآية ١٩ من الإصحاح الخامس من رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية **«لأنه كما جعل الكثيرون خطاة بمعصية إنسان واحد»** يقول إنهم قد أصبحوا عرضة للعقاب ، ومعاقبين بالموت . هذا العقاب قد زال بتجسد المسيح وقيامته من بين الأموات ، التى بها أصبح الموت إنتقالاً إلى موطن آخر حقيقى ، حيث تتم المكافأة وفقاً للإجتهاد الشخصى ، لأن الخلاص ليس آلياً ، إنما فردى ويتم بالجهاد الذى لا يحزن المرء . الخطية وحدها هى التى تحزن (ميشال نجم : نفس المرجع ص ١٠٠) .

١٢ - مكاريوس الكبير : «قد كسا الرئيس الشرير ، النفس وكل جوهرها بالخطيئة ولوثها بكليتها ، وأخذها بكليتها أسيرة إلى ملكوته ، ولم يدع عضوا واحداً منها حراً منه ، لا الأفكار ولا القلب ، ولا الجسد ، بل كساها بأرجوان الظلمة . لأنه عندما يقول الرسول :

«**اخلعوا الإنسان العتيق**» (كو ٣: ٩) ، فهو يقصد إنساناً بتمامه وفيه عيون مقابل عيون ، وآذان مقابل آذان ، وأيدى مقابل أيدى ، وأرجل مقابل أرجل ، لأن الشرير قد لوث الإنسان كله ، نفساً وجسداً ، وأحدره ، وكساه «بإنسان عتيق» أى إنسان ملوث ، نجس فى حالة عداوة مع الله ، وليس خاضعاً لناموس الله ، بل هو بكليته خطيئة ، حتى أن الإنسان لا يعود ينظر كما يشاء هو ، بل ينظر بعين شريرة ، ويسمع بأذن شريرة ، وله أرجل تسرع إلى فعل الشر ، ويديه تصنع الإثم ، وقلبه يخترع شروراً» (عظات القديس مكاريوس الكبير - ترجمة دكتور نصحى عبد الشهيد - بيت التكريس لخدمة الكرازة - ١٩٩١ - ص ٣٦ ، ٣٧) .

«وكما أنه هناك فى الحالة الأولى - حالة الخطيئة والسقوط - **فإن الإنسان القديم لبس الفساد بكليته** ، أى ليس ثوب مملكة الظلمة ورداء التجديف وعدم الإيمان ، وعدم المبالاة ، والمجد الباطل والكبرياء ، والجشع والشهوة ، وكل الفخاخ الأخرى الوسخة غير الطاهرة البغيضة التى لمملكة الظلمة ، هكذا يحدث هنا أن كل الذين خلعوا الإنسان العتيق ، الذى هو من تحت - من الأرض - كل الذين خلع عنهم يسوع رداء مملكة الظلمة - لبسوا الإنسان الجديد السماوى - أى يسوع المسيح - بكل عضو مقابل (العتيق) ، عيون مقابل عيون ؟ آذان مقابل آذان ، رأس مقابل رأس ، ليكون الإنسان كله نقياً بإرتدائة الصورة السماوية . هؤلاء قد البسهم الرب لباس ملكوت النور الذى لا ينطبق به ، لباس الإيمان والرجاء والمحبة ، والفرح والسلام والصلاح واللطف ، وكل الملابس الأخرى الإلهية الحية التى لنور الحياة ، ملابس الراحة التى لا يعبر عنها ، حتى كما أن الله نفسه هو محبة وفرح وسلام ولطف وصلاح ، فكذلك يكون الإنسان الجديد بالنعمة» (المرجع السابق ص ٣٩ ، ٤٠) .

كذلك يقول «لأنه بمعصية الإنسان الأول دخل فينا شىء غريب عن طبيعتنا ، الذى هو كارثة الفساد والأهواء ، وقد إتخذ هذا الفساد مكانه كأنه جزء من طبيعتنا بطول العادة والميل (ص ٥١) ثم يقول : إن من يأتى إلى الله ، ويرغب أن يكون بالحق شريكاً

للمسيح ، ينبغى أن يأتى واضعاً فى نفسه هذا الغرض : ألا وهو أن يتغير ويتحول من حالته القديمة وسلوكه السابق ، ويصير إنساناً صالحاً جديداً ، ولا يتمسك بشىء من الإنسان العتيق ، لأن الرسول يقول **«إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة»** (٢كو ٥:١٧) .

وهذا هو نفس الغرض الذى من أجله جاء ربنا يسوع المسيح : أن يغير الطبيعة البشرية ويحولها ويجددها ، ويخلق النفس خلقة جديدة ، النفس التى كانت قد إنتكست بالشهوات بواسطة التعدى . وقد جاء المسيح لكى يوحد الطبيعة البشرية بروحه الخاص ، أى روح اللاهوت ، وهو قد أتى ليصنع عقلاً جديداً ونفساً جديدة ، وعيوناً جديدة ، وآذاناً جديدة ، ولساناً جديداً روحانياً ، وبالإختصار إنساناً جديداً كلية (ص ٣٢٧) ويقول أيضاً : إذا لم يولد الإنسان من روح الله الملوكى ، ويصير من أعضاء العائلة السماوية الملوكية وأبناً لله بحسب المكتوب **«وكل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله»** (يو ١:١٢) فلا يستطيع أن يلبس الجوهرة السماوية الثمينة جداً ، أى صورة النور الذى لا يعبر عنه - الذى هوالرب نفسه . وذلك لأنه ليس إبناً للملك ، لهذا يقول الرسول **«كما لبسنا صورة الترابى سنلبس أيضاً صورة السماوى»** (١كو ١٥:٤١) (ص ٢١) **«فإنه من الداخل يزحف روح الشر الذى فى داخل النفس ، وهو يحاور العقل ، وهو يغرى ، هذا هو حجاب الظلمة أى الإنسان العتيق»** (٢كو ٥:١٧) الذى ينبغى أن يخلعه أولئك الذين يهربون إلى الله ، وينبغى أن يلبسوا الإنسان السماوى الجديد الذى هو المسيح (أف ٤:٢٢ ، كو ٣:٨ (ص ٣١٩) .

١٣ ـ **القديس كيرلس الكبير** : إن الطبيعة البشرية قد أصابها الفساد فى الإنسان الأول آدم . لذلك أثرى الإبن ، الذى أخذ ناسوتنا ، طبيعتنا ، وذلك بروحه القدوس ، إذ لا ينفصل قط عن الروح القدس بكونه روحه وواحداً معه فى ذات الجوهر . بواسطة تجسد الإبن وبعمله الخلاصى لأجلنا ، يجدد الروح القدس طبيعتنا البشرية ، ويحيا فى نفوسنا ، ويقودنا إلى حضن الآب» «عندما صار كلمة الله إنساناً ، تقبل الروح القدس من الآب كواحد منا (لم يأخذ الروح لنفسه شخصياً ، إذ هو واهب الروح) ذلك لأن الذى لم يعرف خطية يمكنه بإقتناء الروح كإنسان أن يحفظه لطبيعتنا ، وأن يعيد إلينا النعمة التى فارقتنا . لهذا السبب فإننى أعتبر المعمدان القديس قد أضاف **«رأيت الروح نازلاً من السماء وحل عليه»** (يو ٣٢:١) ، لأنه قد هرب الروح منا بسبب الخطية ، غير إن ذاك الذى لم يعرف خطية صار كواحد منا ، حتى يعتاد الروح البقاء فينا ، إذ لا يجد سبباً لمفارقة أو الإنسحاب منه . وعلى هذا فإنه خلال نفسه يستلم الروح لأجلنا ، ويرد لطبيعتنا الصلاح القديم ، لذلك قيل عنه **«من أجلنا افتقر»** (٢كو ٩:٨) (القمص تادرس يعقوب ـ عطية الروح القدس ـ الإسكندرية ـ ١٩٩١ ـ ص ١٠٩ .

١٤ ـ **ديديموس الضرير** : يجددنا الروح القدس بكونه الله فى المعمودية . وفى وحدانيته مع الآب والإبن ينشلنا من تشوهنا إلى جمالنا الأصلى . بذلك يملأنا بنعمته حتى لا نعمل شيئاً ما لايليق بحبنا» ، «ونحن نتقبل صورة الله ومثاله اللذين فقدناهما بالخطية ، ونعود إلى حالتنا الأصلية ، سادة أنفسنا وبلا خطية (المرجع السابق ص ٣٢) .

١٥ ـ **مار افرام السريانى** : نحن نتقدس بجسد المسيح ودمه ، ونصير هياكل الروح القدس ، إذا أردنا ذلك ، فالله عند الخلق صنع كل الأشياء صنعاً حسناً ، لكن الإنسان أوجد

الشر بإرادته . وهذا الرأى يناقض الثنائية الموجودة فى الفكر الهلينى . والتشديد على حرية الإنسان فى الحصول على القداسة ، يعنى أنه حارب القدريين وأنه وضعها مركزاً لمحاربة الخطية ، وطريقاً وحيداً للخلاص (ميشال نجم : المرجع السابق ص ١٠٧) .

١٦ ـ **ساويرس بن المقفع** : تحدث أولاً عن الإنسان قبل السقوط ، فقال : «خلق الله آدم فى يوم الجمعة . خلقة روحاً عاقلة مثل الملائكة وأخفاها فى جسد ـ كأجساد الحيوان ذى لحم وعظم ودم . خلقه ليجعله فى المنزلة العليا التى منها سقط إبليس وجنده . وخلق له فردوساً فى شرقى الأرض» ويقول : إن آدم وحواء لما خلقا لم تكن لهما شهوة يعرف بها أحدهما الآخر ، بل كانا كالملائكة لأن ضوء وجههما كان غالباً على جسدهما » .

ويتحدث عن سقوط الإنسان الأول فيشير إلى الحوار الذى جرى بين حواء والشيطان ، وخدعهما الشيطان وأوهمهما أنهما عندما يأكلان من الشجرة الممنوعة ، يصيران مثل الله «وللوقت طمعت (حواء) فى اللاهوتية وأكلت منها بطمع اللاهوتية . وأطعمت آدم حتى أكل منها بطمع اللاهوتية . وللوقت عراهما الله من النعمة النورانية كما عرى منها إبليس ، وأسقطهما كما أسقطه إلى الأرض ليعاقبهما بعدله كعقوبته ، لأنهما سقطا مثله وتشبها به فى أنفسهما ، وسمعا من حية وصدقاها بطمع اللاهوتية . فلما سقط آدم وحواء إلى الأرض ، علم الشيطان أن الله قد أسقطهما بعدله وأنهما يدومان معه ساقطين فى الأرض وفى الجحيم مادام ساقطاً . فوكل بكل واحد من نسلهما روحاً نجساً من جنده يحثه على الأعمال الشيطانية البهيمية . ولما ولدا الأولاد بالولادة الجسدانية ، وكل بكل واحد منهم روحاً نجساً من جنده ، لا يزال موكلاً بالإنسان من ساعة أن يولد ، يحثه على الأعمال الجسدانية البهيمية إلى يوم يريد الله موته» . وقال أيضاً : لأن بسبب خطيئة آدم كل من يموت من جميع ذريته ينزل إلى الجحيم حتى الأطفال الذين لم يخطئوا ، وحتى الأنبياء والصديقين من الآباء ، كما قال أيوب ، الإنسان

لايكون بلا خطيئة . لأنه بسبب خطيئة آدم صار الشيطان يوكل بالطفل فى ساعة أن يولد من بطن أمه روحاً نجساً ، فإذا مات فى تلك الساعة أحدره إلى الجحيم حيث آدم الأب الأول . فلم يزل الناس كذلك خمسة آلاف وخمسمائة سنة ، كل من يولد يتوكل به روح نجس إلى يوم موته يميته ويحدره إلى الجحيم ، لأنهم أخطأوا مثل إبليس ويستحقون العقوبة مع إبليس إلى الأبد .

(الدر الثمين فى إيضاح الدين ، للقديس الأنبا ساويرس الشهير بإبن المقفع أسقف الأشمونين ـ إصدار أبناء البابا كيرلس السادس ـ شبرا ـ القاهرة ـ طبعة ثانية ـ ١٩٧٨ ـ ص ٤٨ ـ ٥١ .



الباب الثالث

مفهوم الخطيئة الأصلية بين الكنائس المختلفة

١ - الكنيسة البروتستانتية

٢ - الكنيسة الكاثوليكية

٣ - كنيسة الروم الأورثوذكس

٤ - الكنيسة القبطية الأورثوذكسية



مفهوم الخطيئة الأصلية

بين الكنائس المختلفة

الكنيسة البروتستانتية[1]

أولاً : حال الإنسان الأصلية : الله أبدع الإنسان على ما يأتى :

١ ـ فى حالة البلوغ الكامل : المراد ببلوغه أنه لم يخلق طفلاً . فأخطأ من زعم أنه كان أولاً ضعيفاً عاجزاً مجرداً من قدرة القيام بما يحتاج إليه من الكمال نفساً وجسداً ، وأنه تقوى عقله وجسده بالتدريج ووضع لنفسه لغة وتنبهت قواه الأدبية ، لأن هذا الزعم مخالف لنص الكتاب على كيفية خلقه وعلى ما قام به من العمل بأمر الله ، وعلى أن الله كان أولاً يكلمه ويعلن له إرادته وهو يفهم كلامه وإعلانه تعالى . وكل ذلك يدل على كماله الجسدى والعقلى .

٢ ـ على صورته وشبهه : وذلك بإعطائه إياه طبيعة روحانية مشابهة له ، فهو يشبه الله فى قواه العقلية وفى مواهبه الروحية . والجزء الباقى من صورة الله فى الإنسان ـ بعد سقوطه ـ هو الطبيعة الروحية العقلية التى لا تزال فى كل بنى جنسنا . والجزء الذى زال بالسقوط هو الكمال الأدبى الذى فطر الإنسان عليه ، أى حال البر والقداسة التى خلق عليها . فقد إنحط من حالة البر والطهارة إلى حالة الخطية والفساد الأدبى .

---

(١) المراجع الرئيسية للفكر البروتستانتى :

١ ـ علم اللاهوت النظامى ـ دار الثقافة المسيحية ـ ١٩٧١ .

٢ ـ الدكتور القس فهيم عزيز : الفكر اللاهوتى فى رسائل الرسول بولس ـ دار الثقافة ـ القاهرة ـ ١٩٧٧ .

ويقارن البروتستانت بين فكرهم وفكر الكنيسة البابوية ؛ فيقولون : الإنسان على صورة الله عندما خلق ، لا كما يقول البابويون أنه كان أصلاً خالياً من البر والقداسة ثم زاده الله إياهما ، بإضافتهما إلى حاله الأصلية : إن الإنجيليين يعتقدون أن البر الأصلى فى آدم كان طبيعياً ، وأما الرومانيون فيعتقدون أنه كان فوق الطبيعة . فقالوا إن الله خلق جوهرى طبيعة الإنسان أى النفس والجسد مائلتين إلى المضادة ، ولأجل الموافقة بينهما وخضوع الجسد للروح خضوعاً لائقاً ، أعطاه عطية غير عادية وهى البر الأصلى . فلما سقط آدم ، فقد بسقوطه هذا البر الفائق الطبيعة ورجع إلى الحالة الطبيعية التى كان عليها قبل تخويله إياه . أما الإنجيليون فيعتقدون عكس ذلك ، أى أن البر الأصلى طبيعى مخلوق مع الإنسان ، وإن آدم كان طبعاً يحب الله ويميز مجده تعالى ، كما كان طبعاً يحب نفسه ويميز جمال الخليقة . وأنه خلق قادراً بالطبع (أى بدون إفتقار إلى موهبة جديدة فوق ما له من المواهب) أن يتمم غاية وجوده العظمى وهى أن يمجد الله ويتمتع به إلى الأبد .

٣ ـ ذا سلطان مطلق : أى تخويل الله إياه السلطان على الخلائق أى جعله رئيساً على الأرض .

ثانياً : ما احدثته خطيئة آدم فى نسله

حسب التعليم الإنجيلى (البروتستانتى) ، إن خطيئة الإنسان فى الحال التى سقط فيها تقوم بإشتراكه فى جرم خطية آدم الأولى المحسوب عليه وبفقد البر الأصلى ، وبفساد طبيعته كلها المسمى غالباً الخطية الأصلية وبجميع الخطايا الفعلية الصادرة من ذلك . والبشر بسبب هذا الفساد الأصلى ، فسدوا فساداً تاماً فى كل قوى النفس والجسد وفى كل أجزائهما ومالوا عن الخير كل الميل وعجزوا عن عمله ، وتبعوا الشر . ومن هذا الفساد تصدر كل الخطايا الفعلية . وأيضاً إنه إذ لم يقطع العهد مع آدم من أجل نفسه فقط بل من أجل نسله

أيضاً ، فالجنس البشرى جميعه المتناسل منه تناسلاً طبيعياً ، قد أخطأ فيه وسقط معه بخطيته الأولى ، ولذلك نسبته إلى آدم هى علة هذه الحال الردية .

ويأخذ التعليم البروتستانتى فى تفسيره لآثار خطيئة آدم على الجنس البشرى ، بنظرية أو مذهب الحسبان رأساً بدون واسطة وفحواه أن آدم هو رأس البشر الطبيعى ونائبهم الشرعى ، وإن البشر بسبب ذلك امتحنوا فيه ونتج لهم من سقوطه ولادة كل فرد منهم فى طبيعة فاسدة وتحت طائلة قصاص معصيته . فالأمر الأول نشأ عن رئاسته الطبيعية أى أنه فسد فنال زرعه بالولادة طبيعة فاسدة بموجب الناموس العام ان الشىء يلد نظيره . والثانى نشأ عن رئاسة الشرعية التى بموجبها كان نائبهم شرعاً (أى بتعيين رسمى من الله) وحسب عليهم جرم معصيته لأنه نائبهم الشرعى ، وحاصله ان جرم خطية آدم الأولى وفقدان بره الأصلى وفساد طبيعته بسقوطه وصل إلى جميع المتناسلين منه لأنه رأسهم الطبيعى ونائبهم الشرعى، وإن بين البشر وادم نسبة طبيعية ونسبة شرعية ، وأنهم بواسطة الأولى أخذوا منه الطبيعة الفاسدة وبواسطة الثانية حسب عليهم جرم معصيته .

إن آدم بعد سقوطه صار يلد أولاداً على شبهه كصورته أى بدون بر ، فاسدى الطبيعة وعاجزين عن أن يكونوا صالحين أو يفعلوا الصلاح من جرم قوتهم ، وذلك بموجب الناموس العام الموضوع من الله ان الشىء يلد نظيره . ويكون الطفل خاطئاً ، لا بمعنى أنه إرتكب بالفعل ، بل أنه ولد فى حال الخطية لا فى حال القداسة ، وإن جرم خطية آدم حسب عليه . وهذه الحال هى التى تسمى بإعتبار فساد طبيعتنا ، الخطية الأصلية ، وهى وحدها لا تهلك النفس لأن لنا كل ما يلزم للإيمان ، بأن من مات قبل سن التكليف يخلص بحسبان بر المسيح له (أى بإعتباره باراً كالمسيح أمام الشريعة) وبنواله فوائد الفداء .

والخطيئة الأصلية تعرف سلباً وإيجاباً . إن التعريف السلبى هو أن الخطيئة الأصلية (أى

فساد الطبيعة المأخوذ من آدم) ليست (١) فساد ذات النفس أو جوهرها ، فإن جوهر النفس لا يتغير بالسقوط ولا قبل الولادة الثانية ولا بعدها ، بل تتغير أميالها وأحوالها ، ففسادها الأصلى لا يمس جوهرها بل أخلاقها وطبائعها وميل الإرادة فيها لأنها إنحرفت عن الصلاح وحادت عن الحق . (٢) ولا عنصراً مدخلاً إليها وممزوجاً بها كما يمزج السم بالخمر . (٣) ولا فقد شيء من القوى لأنها لا تزال حائزة جميع قواها . وأما التعريف الإيجابى ، فهو أن الخطيئة الأصلية (١) فساد عام فى أحوال كل قوى النفس ، غير أنه لا يمس جوهرها بل أميالها فقط . وهذا يتضمن القضايا الآتية ، وهى خلوها من البر الأصلى وفساد طبيعة الإنسان الأدبية فساداً تاماً يشمل الحيدان عن الله وعن كل خير روحى والميل إلى كل شر وأن كل ذلك يحسب خطية بالطبع لا محالة . (٢) إن الخطية غير منفكة عن قلوب البشر حتى المتجددين منهم ، بل تحفظ فيهم إلى درجات مختلفة سجيتها الشريرة ، لأن تقديس النفس لا يتم إلى الكمال فى هذه الحياة خلافاً للتبرير الذى يكمل حالاً عند الإيمان بالمسيح (٣) انها تميت النفس روحياً ، فالإنسان الطبيعى أو غير المتجدد عاجز كل العجز من تلقاء ذاته عن كل عمل صالح لدى الله ، على أنه لم يتخلص بذلك من المسئولية ولم يزل حر الإرادة .

وبالنسبة لقدرة الإنسان الساقط فى الأمور الروحية ، يأخذ البروتستانت بالمذهب الأوغسطينى ، وهو أن البشر عجزوا منذ السقوط كل العجز بإعتبار قدرتهم الذاتية عن الرجوع إلى الله أو عن عمل الصالحات الحقيقية للفساد الذاتى الموروث . ويقترن بهذا مفهوم عمل النعمة أو عمل الروح القدس فى تجديد الإنسان وترجيعه إلى الله . فالأغسطينيون نسبوا كل عمل التجديد إلى روح الله القدوس ، فالإنسان يرجع إلى الله بإرادته ولكن ليس بقوته الذاتية الطبيعية ، بل بقوة معطاة له من الله بالتجديد . (انظر علم اللاهوت النظامى ـ الجزء الثانى) .

وللدكتور فهيم عزيز شرح مسهب عن الخطيئة الأصلية ونتائجها ، يعبر فيه أيضاً عن الفكر البروتستانتى ، فيقول :

أصل الخطية واضح أن الرسول يبدأها بآدم . فالإنسان الواحد الذى دخلت به الخطية هو آدم (رو ٥:١٢) . الخطية ظهرت فى عصيان آدم ، فعمل آدم هو أصل الخطية فى العالم . الخطية لم تكن قوة مستقلة لها وجود سابق على آدم ، أما ظهور الخطية كقوة مستقلة ، فإنما هو تعبير عن حالة الإنسان الخاطىء الذى يفعل ويستعبد لها .

ويناقش الدكتور فهيم رأى أوغسطينوس فيقول : إن كنا نتفق مع أغسطينوس فى عمومية الخطية ودور آدم فى ذلك ، إلا أننا نختلف معه فى تفسير هذا الدور ، فهو يعتقد أن آدم قد ورث نسله الخطية لأن طبيعته قد فسدت ، وهذا الفساد قد ورثوه عنه . فعبارة «فيه أخطأ الجميع» تعنى أنهم ولدوا خطاة بالطبيعة منه . ولكن الرسول لا يؤكد هذه الفكرة فى دور آدم فى الخطية بل ويدحضها فى قوله : **«لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد ، جعل الكثيرون خطاة ..** (ع ١٩) . إن كلمة «جعل» هى كلمة قضائية قانونية ، تماماً كما يقول فى ع ١٨ **«فإذن بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة»** . زد على ذلك أن الموت كما يتحقق فى الأعداد ١٥ ـ ١٩ . كان بسبب خطية واحدة وليس بسبب خطايا وفساد الكل . من هذا نستنتج أن أ آدم قد جعل نسله خطاة ، ليس لأنه ورثهم الطبيعة الفاسدة ، ولكن لأنه وضعهم فى الموقف الخاطىء . فمثلاً : الإبن الضال لو تزوج وأنجب فى الكورة البعيدة ، فإن نسله يكون مثله ضالاً ، ليس لأنه ورث طبيعة فاسدة من أبيه ، بل لأن أباهم أوجدهم فى الكورة البعيدة أى فى علاقة فاسدة مع الأب الذى انفصل عنه الإبن الضال . وهذا ما حدث مع آدم ونسله . لقد وضعهم فى الكورة البعيدة ـ إن جاز هذا التعبير ـ وجعلهم كلهم خطاة ، لأنهم ولدوا فى علاقة فاسدة وليست طبيعية مع الإله الذى خلقهم .

هذا الموقف الفاسد الذى أوجد فيه النسل البشرى ينتج الخطية الفعلية ، وهكذا ـ فيما يقول الدكتور فهيم عزيز ـ أخطأ الجنس البشرى الخطايا الفعلية لأنهم أصبحوا بحكم إنتمائهم لآدم خطاة ومدينين . إذن فإذا كان الموت قد ملك على الجنس البشرى ، فقد ملك لأجل الموقف الذى أوجدوا فيه ، أى لأجل الخطية الأصلية ولأنهم أخطأوا فعلاً . والأطفال مثلهم مثل الكبار هم أبناء لآدم أوجدوا فى الموقف الخاطىء ويجوز عليهم الموت ، كما جاز على كل الناس من قبل ، حتى ولو لم يخطئوا فعلاً وعملاً ، لأنه بعيداً عن المسيح ، لا يمكن أن يكون أى إنسان إلا فى آدم . وهذا يعنى أن الجميع بما فيهم الأطفال مدينون .

والناموس هو الذى يجعل الإنسان مذنباً ، ويجوز عليه الحكم بالدينونة . ولكن إذ يشعر الإنسان أنه مذنب لا يستطيع أن يترك الخطية ويتبع البر الذى فى الناموس . إذن فالإنسان خاطىء أى فى موقف الخطية كما وضعه آدم . وفى نفس الوقت مذنب لأنه يفعل الخطية ، فهو ميت بسبب الخطية الأصلية وبسبب الخطية الفعلية أيضاً .

(الفكر اللاهوتى فى رسائل الرسول بولس ص ٨٤ ـ ٨٨) .

الكنيسة الكاثوليكية [1]

كارل راهنر : معجم اللاهوت الكاثوليكى

أولاً الإنسان على صورة الله :

تعبير «صورة الله» مستل من الوحى لتصوير الصلة الفريدة بين الله والإنسان . فالإنسان فى تركيبه الجسدى والروحى خلق على صورة الله (تك ١ : ٢٦) ، **ليسيطر على العالم ويكالم** الله . يظل الإنسان حتى بعد الخطيئة الأصلية صورة الله (تك ٩ : ٦) لأنه يظل فى وقفة من يكالمه الله فعلاً ويظل عملياً مدعواً من الله .

ثانياً : حالات الإنسان :

١ ـ حالة الإنسان فى الفردوس ، وقد حبته عطية الله النعمة الفائقة الطبيعة ينعم بالعصمة من الميل إلى الشهوة ولا تؤثر عليه حتمية الموت . الحالة «ما قبل السقوط» فى البراءة الأصلية قبل الخطيئة الأصلية .

٢ ـ حالة الإنسان تحت تأثير الخطيئة الأصلية : قبل المسيح أو قبل التبرير (بالإيمان والمحبة والعماد) . حالة الطبيعة الساقطة ما بعد الخطيئة الأصلية .

٣ ـ حالة البار الذى قدسته نعمة المسيح ، الذى كان خاطئاً فيما مضى بالخطيئة الأصلية أو بخطاياه الشخصية . حالة الطبيعة الساقطة والمجددة (ص ١٠٧) .

وفى موضع آخر يذكر ان الإنسان الأول كان معصوماً من الميل إلى الشهوة الشريرة المتمردة . ولكن هذه العصمة ، إذ لم يكن للإنسان عليها حق ، هى عطية خارج الطبيعة (ص ١٠٨) .

---

(١) المراجع الرئيسية :

١ ـ كارل راهنر : معجم اللاهوت الكاثوليكى ـ نقله إلى العربية المطران عبده خليفة ـ منشورات دار المشرق ـ بيروت ـ لبنان ١٩٨٥ .

٢ ـ الأب (حالياً المطران) سليم بسترس : اللاهوت المسيحى والإنسان المعاصر ، الجزء الأول ـ منشورات المكتبة البولسية ـ جونية ـ لبنان ـ ١٩٨٤ .

الأب (المطران حالياً) سليم بسترس

أولاً : الإنسان صورة الله

تقوم صورة الله فى الإنسان على إشتراك الإنسان فى سيادة الله على سائر الخلائق ، وتلك السيادة تفرض العقل والحرية والإرادة ، فقد خلق الإنسان **«ليتسلط على سمك البحر وطير السماء والبهائم وجميع الأرض»** (١:٢٦، ٢٨) أما لفظة كمثالنا فى قوله تعالى : لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا ، فيقصد الكاتب بها الغاء المساواة التامة بين الإنسان والله . فالإنسان هو على صورة الله ولكن ليس مساوياً له فى الألوهة .

ويشير المطران سليم بسترس إلى رأى بعض الآباء الشرقيين فى الصورة من حيث أنها تشير إلى الطبيعة التى خلق عليها الإنسان ، وفى المثال من حيث أنه يشير إلى الدعوة التى هو مدعو لبلوغها . فقد خلق على صورة الله ، ولكنه مدعو إلى أن يصبح على مثال الله فى قداسته . كما يشير المطران سليم إلى أن المرأة والرجل ، كلاهما خلق على صورة الله ، فالمرأة مساوية للرجل فى تلك الصورة (تك ١:٢٧) .

ثانياً : الخطيئة الأصلية

يعرض المطران سليم بسترس ، رأيه فى الخطيئة الأصلية من خلال إجابته على بعض الأسئلة التى طرحها المؤمنون وغير المؤمنين .

السؤال الأول : هل آدم اسم علم لشخص عاش فى التاريخ ؟

ويجيب على هذا التساؤل بالآتى :

تتكلم رواية سفر التكوين عن خطيئة آدم وحواء . ويقارن بولس الرسول بين خطيئة آدم وقداسة المسيح . وفى رأى البعض أن لفظة «آدم» هى إسم علم لشخص عاش فى زمن محدد من التاريخ ، وارتكب خطيئة كبرى أحدثت خللاً فى الكون والإنسان ، وجرت على البشر

العذاب والموت . وقد كانوا قبل خطيئة آدم غير خاضعين لهما ، بينما يرى البعض الآخر أنه لا وجود لآدم وحواء فى التاريخ ، وإن قصتهما هى أسطورة خيالية ، ويستنتجون من ذلك أنه لا وجود للخطيئة الأصلية : ليس إلا خطايا شخصية يرتكبها الناس بشكل فردى ، وكل إنسان هو مسئول عن خطيئته .

ويعلق المطران سليم بسترس على هذين الرأيين فيقول :

كلا الرأيين فى نظرنا ، على خطأ ، لأنهما لا ينظران النظرة الصحيحة إلى الخطيئة الأصلية .

والرأى الأول على خطأ ، لأن آدم ليس إسم علم لشخص محدد عاش فى بدء التاريخ ، فكلمة «آدم» لفظة عبرية تعنى «الإنسان» كما أن حواء تعنى «التى تعطى الحياة» ، لذلك آدم وحواء هما رمز لكل إنسان ، وقصة خطيئتهما هى قصة خطيئة كل إنسان .

إن كاتب سفر التكوين يتحدث من الفصل الرابع حتى الفصل الحادى عشر عن الفساد والقتل والعنف ومختلف الجرائم والمظالم التى اجتاحت البشرية حتى كارثة الطوفان ، ثم يسأل : من المسؤول عن تلك المظالم ؟ هل يريد الله كل هذا الشر ؟ ويجيب على السؤال فى الثلاثة فصول الأولى ، بقوله إن الله قد خلق كل شئ صالحاً ، وإن البشر هم الذين يجنون على أنفسهم بإختيارهم الشر بدل الخير ، والموت بدل الحياة . وهذا الإختيار يقوم به الناس على مدى التاريخ منذ الإنسان الأول . ومهما تنوعت خطاياهم فهى كلها إنكار لله ورفض لتعاليمه ووصاياه .

لذلك يجب التمييز بين جوهر الجواب الذى يعطيه سفر التكوين ، والأسلوب الذى جاء فيه هذا الجواب . فقصة آدم وحواء هى قصة أسطورية ، إلا أن تعليمها تعليم إلهى . فمن خلال هذا «المثل» يكشف لنا الكتاب المقدس عن حقيقة دينية ثابتة ، وهى أن الإنسان لم يخلق خاطئاً


حماة الإيمان

وان الخطية ليست من صلب طبيعته البشرية . إن الله قد وضع أمامه الحياة والموت والخير والشر ، ومنحه الحرية والإرادة . فالإنسان هو مسئول عن خطيئته .

والرأى الثانى على خطأ - فيما يقول المطران سليم بسترس - لأنه لا يميز بين الخطيئة الشخصية التى يرتكبها كل إنسان ، ووضع العالم الخاطىء الذى يوجد فيه الإنسان منذ ولادته . فإذا رفضنا أن تكون لفظتا «آدم» و«حواء» اسمى علم لشخصين عاشا فى بدء التاريخ ، إلا أنه لابد من الإعتراف بأن الإنسان قد بدأ يوماً . متى بدأ ؟ وكيف بدأ ؟ هذا من شأن العلم لا من شأن الدين ، البحث عنه . ولابد لنا من الإعتراف بأن هذا الإنسان ، فى جميع العصور وعلى مدى التاريخ ، قد خطىء ، فلا يمكننا إنكار خطيئته .

ويمضى المطران سليم بسترس فيقول : ثم إن الإنسان ليس فرداً عائشاً وحده فى جزيرة ، إنه عضو فى مجتمع . والأعضاء فى الجسد الواحد يتأثر بعضها ببعض . إنى لست مسئولاً إلا عن الخطايا التى ارتكبها أنا نفسى . ولكن الخطايا التى ارتكبها تؤثر فى غيرى . والخطايا التى ارتكبها البشر على مدى الأجيال خلقت فى العالم وضعاً خاطئاً مناقضاً لإرادة الله ، وعندما أولد أنا ، إنما أولد فى عالم خاطىء هو بحاجة إلى خلاص الله ونعمته . «الجميع قد خطئوا» يقول بولس الرسول ، واعوزهم مجد الله (رو ٣:٢٣) . فالخطايا التى يرتكبها كل إنسان هى خطايا شخصية ، اما الوضع الذى يولد فيه فإنما هو وضع عالم خاطىء .

ويواصل المطران سليم بسترس الحديث فيقول :

من ردنا على الرأى الأول ، نستنتج أن هناك أسئلة خاطئة لا تزال تطرح اليوم ، كل مرة يؤتى على ذكر الخطيئة الأصلية . ماذا كانت خطيئة آدم وحواء فى الفردوس ، أخطيئة زنى أم خطيئة من نوع آخر ؟ كم من السنين عاش آدم وحواء فى الفردوس قبل الخطيئة الأصلية ؟ إن جميع تلك الأسئلة نعتبرها اليوم أسئلة خاطئة ، لأنها تطرح من نقطة إنطلاق خاطئة ، هى

أن آدم وحواء هما إسم علم للشخصين اللذين عاشا فى بدء التاريخ وارتكبا خطيئة كبرى .. إن هذه الأسئلة كلها تسقط ، إذا فهمنا رواية سفر التكوين على حقيقتها : إنها ليست رواية لحدث تاريخى محدد جرى فى زمن معين من التاريخ ، بل رواية رمزية تروى ما يجرى للإنسان - لكل إنسان ، منذ الإنسان الأول - عندما يرفض الله ويرفض وصاياه . ومن خلال تلك الرواية يبدو الله إله القداسة والمحبة والصلاح ، الذى لا يريد أن يعيش الإنسان فى الخطيئة ويسبب لنفسه الهلاك ، بل أن يرجع إليه ويجد فيه الحياة والخلاص . لذلك لا يمكننا القول إن آدم وحواء قد عاشا فترة من الزمن قبل الخطيئة الأصلية ، ولا إنهما ، بخطيئتهما ، سببا لذريتهما المرض والعذاب والموت ، وقلبا نظام الكون بأسره . إن ما ينتاب الإنسان من أمراض وأوجاع ، والموت المحتم الذى يسير إليه جميع البشر لا يمكن أن يكون نتيجة لخطيئة إنسان واحد عاش فى فجر التاريخ - فكل هذه الشرور الطبيعية هى من صلب طبيعة الإنسان المحدودة . والتطور الذى أظهر العلم أنه شمل العالم والإنسان ، لا يمكن أن يتم دون وجود الموت الذى يفسح المجال أمام التغير والتقدم ، فالتفسير التقليدى الذى يرى فى الموت عاقبة الخطيئة لا يصح إلا جزئياً ، أى بالنسبة إلى الموت الروحى . فالخطيئة تبعد الإنسان عن الله . لذلك ما ينتج من الخطيئة إنما هو الموت الروحى والقلق الوجودى . وهذا أول ما يريد سفر التكوين وبولس الرسول تأكيده . أما الموت الجسدى فهو أمر متعلق بطبيعة الإنسان المحدودة وهو ، للمؤمن بقيامة المسيح ، إنتقال من حياة مائتة إلى حياة خالدة مع الله .

ثم يحاول المطران سليم بسترس أن يحدد الخطيئة الأصلية ، بإعتبارها حالة تضامن مع خطيئة العالم ، فيقول : إن عبارة «الخطيئة الأصلية» لم تستعمل فى اللاهوت إلا إبتداء من القديس أوغسطينوس . إن العهد الجديد يتكلم عن خطيئة العالم» فالمسيح هو بحسب قول يوحنا الإنجيلى «حمل الله الذى يرفع خطيئة العالم (١:٢٩) . وبولس يصف كيف شملت الخطيئة جميع الناس (رو ٣:٢٣ - ٢٦) .

ولتعريف الخطيئة الأصلية يجب أن نقارن مع بولس الرسول، بين حالة البشرية الخاطئة، لأن «الجميع قد خطئوا» والفداء الذى حصلت عليه البشرية بالمسيح يسوع، لأن «الجميع يبررون مجاناً بالفداء الذى بالمسيح يسوع». فلا يمكننا إذن أن نفهم الخطيئة الأصلية إلا بالمقارنة مع الفداء بالمسيح. فالخطية الأصلية هى حالة التضامن مع خطيئة العالم، أى مع جميع الذين خطئوا عبر التاريخ منذ الإنسان الأول، والفداء بالمسيح يدخلنا فى حالة جديدة هى حالة النعمة والبر.

ويختم المطران سليم بسترس حديثه فيقول: ليست الخطيئة الأصلية إذن خطيئة إنسان عاش فى بدء التاريخ، ويرثها كل إنسان يولد من ذريته، وإلا لكان كل إنسان يسأل ماذنبى أنا لكى يعاقبنى الله على خطيئة ارتكبها الإنسان الأول؟ إنما الخطيئة الأصلية حالة نتجت من خطايا جميع البشر الذين عاشوا عبر التاريخ منذ الإنسان الأول. فالبشرية خاطئة، وهذا واقع لا يمكننا إنكاره. وإن الحروب الكثيرة أفصح دليل عليه. فعندما يولد الإنسان، يولد ضمن تلك البشرية الخاطئة، أى فى حالة تضامن معها. وهذا أيضاً واقع لا يمكن تجاهله. إلا أن هذا الواقع ليس أمراً محتوماً على الإنسان البقاء فيه، فالمسيح قد افتدانا وبررنا، وهو يدعونا إلى الإنتقال من حالة التضامن مع البشرية الخاطئة إلى حالة التضامن معه، وتلك الدعوة يلبيها الإنسان بقبول المعمودية. فالذين يعتمدون للمسيح يجددون فى ذواتهم موت المسيح وقيامته (ص ١١٧ ـ ١٢١).



كنيسة الروم الأرثوذكس[1]

يتناول تيموثى وير الحديث عن نقاط ثلاث :

١ ـ الصورة والمثال

٢ ـ النعمة وحرية الإنسان .

٣ ـ السقوط والخطيئة الجدية .

أولاً فيما يختص بالصورة والمثال

يقول تيموثى أن معظم الآباء يرون أن الصورة والمثال لا يعنيان الشىء نفسه بالضبط . وكتب يوحنا الدمشقى يقول : تعبير «على صورتنا» يشير إلى العقلانية والحرية ، فى حين يشير تعبير «على مثالنا» إلى التمثل بالله من طريق الفضيلة ، فالصورة أو «أيقونة» الله على حد التعبير اليونانى ، تعنى حرية الإختيار عند الإنسان ، كذلك عقله وحسه بالمسئولية الأخلاقية ، أى كل ما يميز الإنسان من الخليقة الحيوانية ويجعله «شخصاً» . إلا أن الصورة تعنى أكثر من ذلك ، تعنى أننا من ذرية الله (أع ١٧:٢٨) ومن نسله . وان بينه وبيننا نقطة إتصال وتطابق أساسية . فما دمنا جعلنا على صورته ، فبمستطاعنا أن نعرف الله ونقيم الشركة معه . وإذا إستخدم الإنسان إمكانية الشركة مع الله هذه على أحسن وجه ، سيصبح «مثل الله» ويكتسب المثال الإلهى .

وبتعبير يوحنا الدمشقى ، سيصل إلى «التمثل بالله» من طريق الفضيلة . إكتساب «المثال»

---

(١) المراجع الرئيسية :

١ ـ تيموثى وير : الكنيسة الأرثوذكسية ، إيمان وعقيدة ، منشورات النور ـ لبنان ١٩٨٢ .

٢ ـ المطران جورج خضر : الرؤية الأرثوذكسية لله والإنسان ـ منشورات النور ـ لبنان ١٩٨٢ .

٣ ـ الأب ميشال سابا : لاهوت المعمودية ـ ١٩٩٢ (محاضرة ضمن لقاء لجنة الإيمان والوحدة التابعة لمجلس كنائس الشرق الأوسط ـ قبرص ١٩٩٢) .

هذا يعنى «التـأليه» ، أى أن يصبح الإنسـان «إلهاً بالنعمـة» **«أما قلت أنكم آلهـة وبنو العلى كلكم»** (مز ٨٢:٦) .

الصورة تشير إلى القدرات التى وهبها الله لكل إنسان منذ لحظة وجوده . أما المثال فليس هبة تمنح للإنسـان منذ بداية وجوده ، بل هدف ينبغى التطلع إليـه . شىء لا يمكن الحصول عليه إلا بصورة تدريجية . ومهما كان الإنسان خاطئاً ، فليس بوسعه أن يفقد الصورة ، لكن «المثال» منوط بإختيـاره الأخـلاقى وفضيلتـه ، ويمكنه بالتـالى أن يتـعرض للهدم تحت وطأة الخطيئة .

وهكذا خلق الإنسـان كاملاً ليس فى «الواقع » بل فى «الإمكانيـة» . وقد منحت له الصورة ، ودعى لإكتساب «المثال» من طريق جهوده الخاصة ، تؤازره فى ذلك بالطبع نعمة الله . كانت حالة آدم الأولى حالة من البراءة والبساطة . يقول القديس ايريناوس : كان كالطفل الذى لم يكتمل إدراكه بعد ـ وكان من الضرورى له أن ينمو ويصبح كامـلاً . وضع الله آدم على الطريق القويم ، لكن الطريق التى تصل به إلى الهدف النهائى طريق طويلة .

ويشير تيموثى إلى الإختلاف بين هذا الرأى ، وبين ما قال به اغسطين ، الذى كان يرى أن الإنسان كان فى الفردوس منذ اللحظة الأولى بكل ما أعطى له من حكمة ومعرفة ، فلم يكن كما له قط «بالإمكانية» بل كان كمالاً «ناجزاً» .

ويمضى تيموثى فى شرح مدلول «صورة الله» فيقول : لصورة الله فى الإنسـان مكانة عظيمة الأهمية بالنسبة للتفكير الدينى الأرثوذكسى . فالإنسان «لاهوت حى» وحيث أنه أيقونة الله ، فبوسعه أن يعثر على الله إذا ما نظر إلى صميم قلبه هو ، إذا «عاد إلى نفسه» . **«ملكوت الله فى داخلكم»** (لو ١٧:٢١) . ويشير إلى قول القديس أنطونيوس الكبير

«إعرفوا أنفسكم .. الذى يعرف نفسه يعرف الله» كما يشير إلى قول إسحق السريانى «إذا كنت طاهراً فالسماء هى منك ، وسترى فى داخلك الملائكة ورب الملائكة» ، وقد قيل عن القديس باخوميوس «فى طهارة قلبه ، أبصر الله الذى لا يرى ، وكأنه فى مرآة» ، ويقول افليمس الاسكندرى «عندما تبصر أخاك تبصر الله . ويشير تيموثى إلى أن هذا الإحترام لكل كائن بشرى ، يعبر عنه فى الخدمات الليتورجية الأرثوذكسية ، حين لا يكتفى الكاهن بتبخير الأيقونات ، بل يبخر كل أفراد الجماعة ، محيياً صورة الله فى كل إنسان .

ثانياً : النعمة وحرية الإنسان

يقول تيموثى : الكنيسة الأرثوذكسية ترفض كل عقيدة للنعمة تنقص من حرية الإنسان ، وتستعمل الأرثوذكسية تعبير synergeia (السينرجية) أو «التآزر» للتدليل على الصلات بين النعمة الإلهية وحرية الإنسان . والرسول بولس يقول : نحن عاملون مع الله (sunergoi) (١كو ٣:٩) ، فليس بوسع الإنسان أن يحقق الشركة الكاملة مع الله بدون مساعدة الله ، ولكن ينبغى له أن يساهم هو أيضاً فى هذه العملية . وعلى الرغم من أن ما يفعله الله أعظم بكثير مما يمكن أن يفعله الإنسان ، فإن عليهما كليهما الإسهام فى العمل المشترك . ويشير تيموثى إلى أن الذين نشأوا على تقليد أغسطين ولا سيما المكلفينيون ، يتطلعون بتحفظ إلى الفكرة الأرثوذكسية حول «التآزر» ، لأنها فى نظرهم تعطى الكثير من الأهمية لإرادة الإنسان والقليل لله . لكن التعليم الأرثوذكسى واضح جداً فى أن الله يدق ، لكنه ينتظر الإنسان كى يفتح الباب (رؤ ٣:٢٠) فهو لا يحطمه . ونعمة الله تدعو الناس جميعاً لكنها لا ترغم أحداً . ويقول القديس يوحنا ذهبى الفم «الله لا يجذب أى إنسان إليه بالقوة أو العنف . إنه يرغب فى خلاص الجميع ، لكنه لا يرغم أحداً» . ولكن لا يظن أحد بأن الإنسان إذا ما حصل على نعمة الله وحافظ عليها يكون قد حاز على «إستحقاق» ما .

فهبات الله هى دائماً مجانية ، وليس للإنسان أى حق على خالقه . ولكن فى الوقت الذى «لا يستحق» الإنسان فيه الخلاص ، عليه أن يعمل من أجله لأنه وفقاً لما كتب **«الإيمان بدون أعمال ميت»** (يع ٢:١٧) .

ثالثاً : السقوط والخطيئة «الجدية»

يقول تيموثى : يكمن سقوط آدم بصورة رئيسية فى عصيان إرادة الله . وقد وضع إرادته مقابل إرادة الله وفصل نفسه عن الله . ونجم عن ذلك ظهور المرض والموت إلى الوجود على وجه البسيطة . وبتحوله عن الله ، الذى هو الخلود والحياة ، جعل الإنسان نفسه فى وضع معاكس لطبيعته . هذا الوضع الغير طبيعى ، أدى إلى حتمية تمزق الكيان الإنسانى والموت الجسدى . وامتدت نتائج عصيان آدم إلى جميع ذريته . وبسبب الوحدة السرية للجنس البشرى ، لم يكن آدم وحده هو الذى خضع للموت ، بل أخضعت له الإنسانية جمعاء . كذلك لم يكن التمزق اللذى نتج من السقوط مادياً فقط بل كان معنوياً أيضاً . فبعد إنفصال آدم وذريته عن الله ، أصبحوا تحت سلطان الخطيئة والشيطان . وكل كائن بشرى بات ينشأ فى عالم يهون فيه عمل الشر ويصعب عمل الخير . ووهنت إرادة الإنسان نتيجة ما أسماه اليونانيون «الشهوة» وأسماه اللاتين «الميل للملاذ» . ونحن جميعاً عرضة لهذه النتائج الروحية الناجمة عن الخطيئة «الجسدية» .

ويقارن تيموثى بين الفكر الأرثوذكسى مع الكثلكة والبروتستانتية الكلاسيكية فيقول : بالنسبة للأرثوذكسية ، سقوط آدم لم يكن من مستوى عالٍ من المعرفة والكمال ، إنما من حالة بساطة غير متطورة . ومن الأكيد أن السقوط قد أظلم عقل الإنسان وأضعف إرادته إلى حد لم يعد معه بإمكانه أن يأمل بتحقيق مثال الله . إلا أن الأرثوذكسيين لا يرون بأن السقوط قد جرد الإنسان تماماً من نعمة الله . لا يشاطر الأرثوذكسيون كالڤين وجهة نظره القائلة بأن الإنسان بعد السقوط أصبح فاسداً كلياً وعاجزاً على أن يشعر بأى شعور طيب ، كذلك ليسوا

على وفاق مع أوغسطين حينما يكتب بان الإنسان تحت رحمة «رغبة جامحة» فى إرتكاب الخطيئة ، وأن طبيعة الإنسان قد قهرتها الخطيئة التى سقط فيها والتى بها فقد حريته» .

لقد تشوهت صورة الله بفعل الخطيئة ، لكنها لم تتلف قط . وبحسب كلمات الترنيمة التى ترنم فى المآثر الأرثوذكسية «أنا مثال صورة مجدك الذى لا يوصف، وإن كنت حاملاً آثار الزلات» . وحيث أنه مازال يحمل صورة الله ، فإن الإنسان أيضاً يحتفظ بحرية مصيره حتى ولو حدت الخطيئة من مدى تطبيق هذه الحرية وحتى بعد السقوط ، فإن الله لا ينتزع من الإنسان قوة الإرادة ، أى قوة الخيار بين طاعة الله أو عصيانه . وإنطلاقاً من فكرة التآزر ، ترفض الأرثوذكسية جميع تفسيرات السقوط التى لا تدع مكاناً لحرية الإنسان .

ويقول تيموثى أيضاً : معظم اللاهوتيين الأرثوذكسيين يرفضون فكرة مسئولية الخطيئة الأصلية التى تكلم عنها أوغسطين ، والتى ما تزال (ولو على نحو ملطف) مقبولة من الكنيسة الكاثوليكية . والمفهوم الأرثوذكسى على العموم يقضى بأن الإنسان قد ورث بصورة آلية عن آدم القابلية للفساد والموت ، لكنه لم يرث مسئولية خطيئة آدم بحد ذاتها ، إذ أنه ليس مذنباً إلا بمقدار ما ينسج على منوال آدم بملء إختياره . ويعتقد الكثيرون من المسيحيين الغربيين بإن الإنسان بعد السقوط عاجز عن القيام بأى شىء يرضى الله مهما كان نوعه ، لأنه لا يستطيع أداء أى أمر لا تشوبه الخطيئة الجدية . هذا التفكير غريب عن الفكر الأرثوذكسى . فما من أرثوذكسى مثلاً يفكر ، كما فعل أوغسطين والعديد من الغربيين الآخرين ، بأن الأطفال الذين يموتون بدون معمودية ، بكونهم ملطخين بالخطيئة الأصلية ، سيصلون نار الجحيم الأبدية بمشيئة الله العادل . لكن الأرثوذكسية - فيما يقول تيموثى - على الرغم من تأكيدها على أن الإنسان يحتفظ بحرية مصيره بعد السقوط ، وأنه قادر على عمل الخير - تتفق مع الغرب حول الإعتقاد بأن ثمة حاجزاً رفعته الخطيئة بين الإنسان والله ، وإن ليس بوسع الإنسان هدمه بمحض مجهوده . فالخطيئة سدت طريق الإتحاد مع الله . وبما أنه لم يكن

بمقدور الإنسان أن يذهب إلى الله ، فإن الله هو الذى أتى إليه (الكنيسة الأرثوذكسية إيمان وعقيدة ص ٣٨ ـ ٤٦) .

المطران جورج خضر

أولاً : الإنسان صورة الله :

يقول المطران جورج خضر : الإنسان ، إسمه لا ينطبق على الفقس أو الجسد منفصلين ، ولكن عليهما جميعاً ، لأنهما معاً خلقا على صورة الله ، كما يقول القديس غريغوريوس بالاماس . الإنسان ليس النفس وليس الجسد منفصلين ، ولكنه النفس والجسد معاً خلقا على صورة الله . والإنسان المخلوق ـ آدم ـ ليس إنساناً منفرداً خاصاً ، ولكنه الإنسان الكونى ، الإنسان الجامع . نعمة الصورة الإلهية حلت على كل الجنس البشرى . وإذا شئتم ، الجنس البشرى كله مجتمعاً هو صورة الله . فالإنسان المصنوع على صورة الله هو الطبيعة ككل . هذا ، أى الإنسان الكلى الشامل الجامع ، هذا يحمل نسبة الله . وحقاً الصورة تكتمل فينا ، إذا صارت الطبيعة التى فينا شبيهة بالله وإكتسبت كل الخيرات الإلهية . فللناس طبيعة واحدة فى أقانيم إنسانية مختلفة . صورة الله تكتمل فينا إذا إتحدنا جميعنا بعضنا ببعض . تكتمل فينا إذا أحببنا بعضنا البعض ، ولذلك لا نصبح جسماً إنسانياً واحداً متكاملاً متراصاً إلا إذا صرنا جسماً متحاباً . ولذلك فالكنيسة ، أى الإنسانية المفتداة ، الكاملة ، الشاملة ، الكنيسة بالنهاية هى صورة الله . ولذلك الكنيسة هى جسد الله ، هى إستمرار الله فى الوجود ، هى مظهر الله الحقيقى .

الإنسان والنعمة لإلهية

يتناول المطران جورج خضر ، شرح مفهوم النعمة الإلهية وصلتها بالطبيعة الإنسانية على النحو التالى :

كيف يُتصل بالله ؟ نحن نعرف أننا لا نستطيع أن نصل إلى الجوهر الإلهى أو أن نصبح أقانيم إلهية ، لأن الهوة قائمة بين الخالق والمخلوق . والمخلوق مخلوق إلى الأبد ، ولن يكون إلهاً فى طبعه ، فى جوهره . ولكن مع ذلك ، يقول الرسول بطرس أنه يجب أن نشترك فى الطبيعة الإلهية . من هنا نشأت عند الآباء القديسين منذ عصرهم الذهبى ، وحتى منذ القرن الثانى عند ايريناوس ، هذه العقيدة التى قررت فى القرن الرابع عشر ، وهى أن الله له جوهر وله قوى . فى جوهره ، الله لا يساهم ، لا نشترك به ، لأننا إن فعلنا ذلك ، فقد إنتقلنا إلى هذا الجوهر وصرنا منه وعندئذ لسنا بمخلوقين ولكن فى الله ما نساهم به . قال القديس باسيليوس : إذا كانت قوى الله تنزل إلينا فجوهره لا يدنى منه» . الله يفيض علينا بشىء منه لنستطيع أن نتحد به ، ولذلك ما يفيض الله به علينا ويغمرنا به ، هذا ما نسمية قواه ، وهذا ما يسميه العهد القديم أو الكتاب المقدس جملة ، مجد الله . مجد الله يظهر منه إلى خارج الثالوث : هذا هو نور التجلى . نور التجلى الذى تجلى به المسيح فى ناسوته كان ضياء الله على ناسوت المسيح ، كان من الله نفسه . الأبرار يتلألأون كالشمس ، يقول إنجيل متى . وإذا كان الأمر غير ذلك ، إذا كان الله لا يفيض علينا من نفسه ، فنحن لسنا مشتركين مع الله . توما الاكوينى ، ومن بعده اللاهوت الغربى قاطبه ، يقول إن النعمة الإلهية مخلوقة : إنها شىء يعطيه الله من خارج نفسه . إنها مخلوقة كذا الكون المادى . ويقول إن نور التجلى مخلوق . فإذا كان الأمر كذلك ، فليس هناك من جسر بيننا وبين الله . إذا كانت النعمة التى فينا عملاً إلهياً وليست هى الله نفسه ، فنحن لسنا مع الله ، والهوة قائمة أبداً بيننا وبينه . ولذلك كان ينبغى أن تكون النعمة التى فينا من الله نفسه ، أى تياراً منحدراً منه ، من حميمه . كان ينبغى أن تكون منه ، وكان ينبغى بآن واحد أن لا تكون من جوهره ، ان لا تكون هى جوهره . إذن نستطيع أن نساهم الله ، ان نساهمه ، ان نشترك معه فى صميمه ، فى حياته الداخلية ، أن نساهمه كله ، ان نعب منه كله وان نمتلىء من حياته كلها . هذا واجب حتى يكون للتجسد

معنى . وكان يجب أيضاً أن يبقى الله فى جوهره غير مدنو إليه . فى الغرب قالوا بالطبيعة وبما يفوق الطبيعة . قالوا بان الإنسان الأول مخلوق بالطبيعة ويضفى الله عليه من نعمته هبة خارجة عن الطبيعة الإنسانية . ولذلك إذا أخطأ الإنسان بقى على طبيعته وسحبت منه هذه الهبة الفائقة الطبيعة . فى الشرق ليس من طبيعة وما يفوق الطبيعة . فى الشرق خالق ومخلوق ، ولكن المخلوق فى طبيعته إلهى ، فى طبيعته حامل صورة الله . الطبيعة الإنسانية نفسها مفطورة على الإلهيات ، ولذلك بعد أن يخطىء الإنسان لا يرد إلى طبيعته - ولكنه يصبح دون طبيعته . الطبيعة الأصلية فيه تتشوه ، والإنسان الخاطىء ليس على أصله الطبيعى .

الخطيئة والسقوط

يقول المطران جورج خضر

الإنسان شخص حر أمام الله وغايته أن يصبح إلهاً . قال باسيليوس الكبير : «إن الإنسان اقتبل من الله أمراً ليصبح إلهاً» . ولكنه يستطيع أن ينكر إرادة الله ، ومع ذلك تبقى صورة الله فينا ، لأنها إن ذهبت ذهبنا وليس لنا وجود . صرنا بالخطيئة على غير صورة الله . فعلى صورة من نكون ؟ . إن ذهبت هذه الصورة كلياً بالخطيئة نتلاشى لأننا لا نثبت إلا فيه وبه وهو معنا . ولكن يمكن للصورة أن تظلم ، يمكنها أن تدلهم ، ان تتشوه ، وهذا ما كان بالخطيئة . ولكن الإنسان خلق كاملاً ، ليس بمعنى أنه كان قريباً من الله قرابة عظيمة . خلق كاملاً على المستوى البشرى أى كان بإمكان الإنسان أن يتحد بالالوهة . ولكن كان عليه أن يصبح إلهاً بالنعمة . كان عليه أن يستغل صورة الله فيه فيجعلها شبهاً . ولذلك قال الآباء إن الإنسان خسر شبه الله ، خسر التحرك نحو الله . فالصورة إذا أردتم هى الصورة الساكنة والشبه أو المثال هو العنصر الدينامى المتحرك نحو الله . التحرك نحو الله تعطل بالخطيئة ولكن بقيت الصورة ولو مشوهة .

ويقول أيضاً المطران جورج خضر : هذا الإنسان دخل الشر إليه بإرادته . والخطيئة جعلت الإرادة مريضة وظن الإنسان خيراً ، ما كان شبح الخير ، ما كان ظل الخير ، ما كان صورة كاريكاتورية عن الخير . وهذا هو الإغراء فى الخطيئة اننا نشتهى ما نظنه خيراً ، فى الوقت الذى نشتهيه . دخلت الخطيئة إلى العالم بالشيطان الذى يريد العدم بإرادة خارجة عن الإنسان . والخطيئة هى التعدى ، وبمعنى أعمق ، الخطيئة هى أن نخالف الطبيعة التواقة فينا إلى الله . فاغلقنا الطريق دون النعمة ، وأوصدنا الباب دون النور الإلهى (الرؤية الأرثوذكسية لله والإنسان ص ١٤ ـ ٢٣) .

الأب ميشال سابا

الإنسان قبل السقوط

يقول الأب ميشال سابا : «خلق الإنسان على صورة الله ومثاله . وما يجدر الإشارة إليه هو ان جوهر الصورة لا يكمن فى الإنسان نفسه وإنما فى النموذج الذى خلق عليه أى فى الله ذاته ، والله لم ينضح فى الإنسان نسمة مؤقتة وإلا كان الله سبب الموت ، بل أعطاه بنفخته نسمة حياة . هذه النفخة ما هى إلا إعطاء الروح القدس للإنسان الفردوسى فأصبح بالتبنى إبناً لله وعاش الإنسان فى شركة مع الله طيلة حياته الفردوسية يغتذى من مجده غير المخلوق بمؤازرة الروح ، فكانت حياته شبيهة بحياة الملائكة من تسبيح لله لا إنقطاع فيه ، خالية من الأهوان والآلام . لم يكن آدم متألهاً فى الفردوس ، إنما عاش فى حالة الإستنارة يتمتع بذهن مستنير وعقل نير بفعل نعمة الروح القدس الساكن فيه . هدفه ودعوته الأولى : الوصول إلى حالة الإتحاد بالله (التأله) . كان قابلاً للموت والخلود فى آن . ولكن آدم الأول فشل فى تحقيق ما أراده الله منه من كمال . وتأله وخلود ، أى فى أن يكون بمؤازرة النعمة ، على مثال خالقه . ففشل بعيداً عن الله ، فى مسعاه التألهى الكامن بين «الصورة» و «المثال» ، إذا إعتبرنا أن الصورة قوة كامنة فيه ، والمثال فعل وديناميه قابل للتحقيق .

السقوط ونتائجه

يقول الأب ميشال سابا : من بعض نتائج سقوط آدم الأول من مرتبته الأولى :

١ ـ قطع صلة الإنسان وشركته مع الله ـ تغربه عن الحياة والوجود

٢ ـ إنفصام الشخصية .

٣ ـ إنفصاله عن ذاته وعن قريبه وعن الله .

٤ ـ خسران الولادة الأولى التى كانت خالية من الهوى وفقدانها .

٥ ـ فقدان نعمة الروح القدس .

٦ ـ الموت الروحى

٧ ـ المرض والفساد .

٨ ـ الموت الجسدى .

٩ ـ فقدان التبنى

١٠ ـ العبودية للشيطان .

١١ ـ إنحراف الأهواء عن مسارها الطبيعى .

١٢ ـ إسوداد الصورة الإلهية فى الإنسان .

١٣ ـ ظلام الذهن والعقل (وهذه النقطة بالذات تشمل فى ذاتها وبإختصار كل مأساة السقوط الإنسانى) .

الخطيئة الأولى والوراثة

يقول الأب ميشال وهو يتحدث عن المعمودية وخطيئة آدم الأولى :

وما القضية فى المعمودية محو خطيئة موروثة ، ولا استرداد دين موروث ، إنما مفعولها فى إزالتها عنا ما ورثناه عن آدم من موت الخطيئة ونتائجها . فقد رأينا أن جوهر الصورة الأصلية فى الإنسان كامن فى النموذج الذى خلق عليه أى فى الله . وبالتالى فالوجود الإنسانى الحق يكمن وبالتحديد فى علاقة الإنسان وشركته مع الوجود الحقيقى (الله) . وما السقوط - كما رأينا - إلا قطع الصلة والشركة والتغرب عن الوجود الحقيقى والحياة الحقة . فعاش الإنسان إنفصام الشخصية وذاق طعم الفساد والموت . إذن الخطيئة الأولى هى قوة الموت ، والخطيئة السائدة عليه فى أعماق كيانه ، فلا تخلص منها ولا سيطرة عليها ، إلا بدخول حياة المسيح الذى مات بسبب خطيئة الإنسان . ولكن بقيامته ساد على الموت والخطيئة (عب ٢:١٥) . فما ورثناه من آدم ليس حالة خطيئة وذنب ، بل حالة موت ، فهى التى تعرضنا للخطيئة لأنها عمل الإرادة الحرة . فبخطيئة آدم ، اندس فى الإنسان الموت الروحى وكل نتائجه من موت الجسد والفساد والإنحلال والبلى والميل إلى الخطيئة . وبدخول الخطيئة إلى العالم ورثنا طبيعة آدم الساقطة . من هنا عقيدة الآباء لا ترتكز على فكرة ذنب يرثه الإنسان من آدم ويخلصه منه المسيح ، بل بالحرى ، إن الإنسان ، بولادته الطبيعية ، يرث من آدم القديم نوع حياة ناقصة ، مستعبدة للموت ، خاطئة لا محالة ، خاضعة لرئيس هذا العالم . حياة كهذه تنتمى إلى عالم السقوط ، تقابلها أخرى هى الحياة فى المسيح ، تلك الحياة الإنسانية الحقيقية الطبيعية ، المنتمية إلى عالم القيامة . وفى هذا يقول كافاسيلاس «المعمودية ليست سوى كياننا وطبيعتنا الحقيقيين» . فالمعمودية تعمل فى الإنسان «لإستعادة صحته الروحية التى خسرها بالسقوط ، تهيئة له للدخول فى المسيحية ، للعودة إلى وضعه الطبيعى»

«بالمعمودية تبتدىء إستنارة عقل الإنسان المظلم بسبب السقوط ، ففيها يمنح النور بواسطة الروح» . يقول القديس اكليمنضس الإسكندرى : إذ نعتمد نستنير ، وإذ نستنير نُتبنى ، وإذ نتبنى نكمل ، وإذ نكمل نُضحى غير مائتين . ويدعى هذا الفعل إستنارة ، فيه يُرى النور المقدس الخلاصى ، أى أننا نشخص به إلى اللاهوت» (ص ١ ، ٢ ، ٨ ، ١٢) .

الكنيسة الأورثوذكسية القبطية [1]

قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث

أولاً : حالة الإنسان قبل الخطيئة

يقول قداسة البابا : آدم وحواء ، لم يولدا من دم ، ولا من مشيئة جسد ، ولا من مشيئة رجل ... لم يأتيا من زرع بشر ، ولم يرثا طبعاً فاسداً من طبيعة سابقة عليهما ، إنما خلقهما الله شيئاً جديداً لم يتلوث من قبل ، وبالطريقة التى أرادها الله لهما .

+ خلقهما الله على صورته ومثاله ، ولا يمكن أن يوجد أعظم من هذا ، أن يكون آدم وحواء على شبه الله . وما أكثر تأملات الآباء القديسين وتفسيراتهم الخاصة بخلق أبوينا الأولين على صورة الله :

فيل أن الله خلقهما على صورته فى البر والقداسة فى وضع فائق للطبيعة ، وهكذا كان كلاهما باراً بلا خطية ، حينما خلقهما الله متسربلين بالقداسة .

وقيل على صورته فى الجمال ،والبهاء والمجد ، أى أعطاهما قبساً من بهائه ، فكانا فى منتهى الجمال ، جسداً ونفساً وروحاً .

وقيل أن الله خلق الإنسان على صورته فى الخلود ، إذ وهب لهما نفساً خالدة ، نفخها فى أنف آدم ، نسمة حياة ، فصار آدم نفساً حية (تك ٢:٧) .

---

(١) المراجع الرئيسية :

١ ـ قداسة البابا شنودة الثالث : شخصيات الكتاب المقدس

١ ـ آدم وحواء

٢ ـ قايين وهابيل

(مطبعة الأنبا رويس بالعباسية بالقاهرة ١٩٨٢)

٢ ـ الايغومانس ميخائيل مينا : علم اللاهوت ـ المجلد الثانى ـ ١٩٣٦ .

٣ ـ الأنبا غريغوريوس : المولود أعمى أو أحد التناصير ـ منشورات أسقفية الدراسات اللاهوتية العليا بالأنبا رويس ـ سلسلة العظات والمحاضرات ـ رقم ١٦ ـ ١٩٧٧ .

وقيل أن الله خلقهما على صورة فى حرية الإرادة .

وقيل أيضاً أن الإنسان خلق على صورة الله فى التثليث والتوحيد : ذاتاً ، لها عقل ناطق ولها روح . والذات والعقل والروح كائن واحد : كالذات الإلهية لها عقل ، ولها روح ، والثلاثة كائن واحد ... إنما الله غير محدود فى كل شىء ، والإنسان محدود .

وقيل أن الله خلقهما على صورته فى الملك والسلطة ، فكانا ملكين على الأرض ، لهما سلطة على كائناتها (تك ١:٢٨) ، وكان آدم نائباً لله على الأرض ، وممثلاً للخليقة الأرضية كلها .

وقيل أن الله كان يعرف مسبقاً بسقوط الإنسان ، وبأنه سيخلى ذاته ويتجسد لكى يخلصه . فخلق هذا الإنسان على الصورة التى كان مزمعاً أن يتجسد بها ، على شبهه ومثاله .

+ وكان آدم وحواء يتصفان بالبساطة والبراءة :

ما كانا يعرفان الشر إطلاقاً . كانا يعرفان الخير فقط ، ولا شىء سوى الخير . لذلك لم يفكرا وقت التجربة أن الحية يمكن أن تخدع وأن تكذب ، فعبارات الكذب والخداع لم تكن موجودة فى قاموسهما فى ذلك الحين .

وفى بساطتهما وبراءتهما ، ما كانا يعرفان بعضهما من الناحية الجنسية بل كانا ساذجين ، ما كانا يفهمان الفروق العضوية فى تركيب جسديهما وكما ذكر سفر التكوين **«وكانا كلاهما عريانين ، آدم وإمرأته ، وهما لا يخجلان»** (تك ٢:٢٥) .

+ ونحن نعجب من هذه المعرفة التى كانت لآدم .

+ وكان آدم وحواء سعيدين ، يعيشان فى جنة .

+ ولم تكن سعادة هذا الإنسان الأول ، من مجرد خلقته فى طبيعة ممتازة ، أو من سلطته على هذه الطبيعة ، أو من حياته فى جنة جميلة ، إنما لعل السبب الأول فى سعادته ، انه كان يحيا فى عشرة الله . الله كان يظهر له ، وكان يكلمه ، وكان يباركه ، وكان يعلمه بنفسه ويقدم

له الوصايا النافعة له . كانت له علاقة مباشرة مع الله .

+ وقد عاش آدم وحواء فى الجنة نباتيين .

ثانياً : خطايا آدم

يحلل قداسة البابا ، خطية آدم إلى ٢٧ خطية ، يشرحها شرحاً مفصلاً ومسهباً . ونشير إليها هنا بشكل مختصر :

١ ـ العصيان أو المخالفة (تك ٢:١٦ ، ١٧) ـ خالف آدم وحواء وصيته الله .

٢ ـ المعاشرات الرديئة (١كو ١٥:٣٣ ـ تك ٣:١) ـ جلست حواء مع الحية .

٣ ـ خطية الشك (تك ٣:١ ـ ٥) القت الحية الشك فى نفس حواء .

٤ ـ خطية الإنقياد (انقادت حواء إلى الحية ومشورتها) .

٥ ـ ضعف الإيمان (حواء صدقت الحية وكذبت الله) .

٦ ـ الإستهانة وعدم مخافة الرب (إستهانت حواء بحكم الله وبتهديده وعقوبته) .

٧ ـ خطية الشهوة (فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وشهية للنظر) .

٨ ـ خطية الكبرياء . (يوم تأكلان منها تنفتح أعينكما وتصيران مثل الله) ـ أنظر أش ١٤:١٢ ـ ١٥)

٩ ـ المعرفة المخربة (أنهما يعرفان الخير فقط ، والشيطان يريد لهما الآن معرفة الخير والشر) .

١٠ ـ مشكلة الثنائية وفقدان الثقة (لما أكلت حواء من شجرة المعرفة هذه ، بدأت ترى آدم رجلاً يختلف عن أنوثتها ، وبدء آدم يراها أنثى تختلف عن رجولته ، وبدأ الجنس يفتح أبوابه . وكان أول باب هو الخجل . وفقد الإثنان بساطتهما الأولى) .

١١ ـ طلب المعرفة من غير الله (كان الله هو المعلم الأول والوحيد ، ثم بدأ الإنسان يتخذ مرشداً غير الله) .

١٢ ـ حفظ الوصية عقلاً لا عملاً (حفظت حواء الوصية بدقة ، ولكنها كسرت الوصية عملياً).

١٣ ـ الإنحدار إلى المستوى الجسدانى (كانت الوصية وصية صوم ، وقد كسر آدم وحواء هذا الصوم) .

١٤ ـ عدم القناعة (لم يقتنع آدم وحواء بجميع شجر الجنة) ـ أنظر جا ١ :٧ ، ٨ .

١٥ ـ إعثار الآخرين (حواء أكلت ثم أعطت رجلها فأكل معها) .

١٦ ـ تغطية الخطيئة بأوراق التين (وأصبحت أوراق التين ترمز إلى تغطية الخطيئة دون التخلص منها . ولهذا نرى الرب لم يوافق على فكرة أوراق التين **«صنع الرب الإله لآدم وإمرأته أقمصة من جلد وألبسهما»** (تك ٣ :٢٠) وأتت أقمصة الجلد من ذبيحة ، سفك دمها لأجلهما ، وتغطيا بجلدها ، وهنا بدأ الرمز العميق : الخطية تعرى الإنسان وتخجله ، والذبيحة تغطيه وتستره ، بل وتطهره .

١٧ ـ الهروب من الله (تك ٣ :٨) .

١٨ ـ الخوف (تك ٣ :١٠) .

١٩ ـ الخروج من محبة الله (قابل مع يو ١٤ :٢١ ، ١يو ٣ :٤) .

٢٠ ـ عدم السعى إلى الخلاص (لم يقوما بأى عمل من أجل خلاص نفسيهما الهالكتين) .

٢١ ـ الجهل بالله وقدرته (قابل مع مز ١٣٩ :٧ ، ٨) .

٢٢ ـ عدم إدانة النفس (كلمة «أخطأت» لم يقلها آدم ولم تقلها حواء) .

٢٣ ـ محاولة تبرير النفس (كل من آدم وحواء حاول أن يبرر نفسه) .

٢٤ ـ إلقاء التبعة على الآخرين (حواء تلقى التبعة على الحية ، وآدم يلقى التبعة على حواء) .

٢٥ ـ ضد محبة القريب (كسر آدم محبته للقريب . والقريب هنا هو حواء) .

٢٦ ـ الإختفاء وراء إمرأة (اختفى آدم وراء حواء لكى ينجو) .

٢٧ ـ عدم اللياقة فى الحديث (لم يتحدث آدم بلياقة مع الله ، وإنما قال «المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى) .

ثالثاً : نتائج الخطايا وعقوبتها

١ ـ اللعنة لم تصب آدم وحواء لسببين :

أولاً : لأن الله كان قد باركهما قبلاً (تك ١:٨) وهبات الله بلا ندامة (رو ١١:٩) ولا يرجع فيها مهما حدث . إنها لا تتوقف على أمانتنا ، بقدر ما تتوقف على جوده هو وكرمه .

ثانياً : لأنه لو لعن آدم وحواء ، لكانت اللعنة قد أصابت الجنس البشرى كله ، الموجود فى صلبهما ، كما لعن فيما بعد كنعان فلعن كل نسله ، وكذلك قايين وكل نسله . ولا يمكن أن يلعن الجنس البشرى كله ، وفيه سيأتى أنبياء وأبرار يباركهم الرب ويكونون بركة ، بل من نسل آدم سيأتى السيد المسيح ـ حسب الجسد ـ الذى سيسحق رأس الحية ، وبه **«تتبارك فيه جميع قبائل الأرض»** (تك ١٨:٢٢) . ولكن اللعنة أصابت الحية التى أغرت حواء بأكل الثمرة ، كذلك أصابت اللعنة الأرض التى تخرج ثمراً للأكل ، وكانت لعنة الحية تحمل عقوبة ضمنية للإنسان (ذلك أن سلطانه على الحيوان قد إهتز . الإنسان البار هو صورة الله ومثاله ، وأما الإنسان الخاطىء فهو تراب . وكتراب يصير طعاماً للحية ، لأنها تأكل تراباً كل أيام حياتها) . وفى اللعنة التى أصابت الأرض ، كانت توجد أيضاً عقوبة ضمنية موقعة على الإنسان نفسه ، وإذ قال له **«ملعونة الأرض بسببك ، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ، وشوكاً وحسكاً تنبت لك ، حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها»** (تك ١٧:٣ ـ ١٩) .

٢ ـ الموت : كان الموت هو العقوبة الأساسية للخطية (تك ١٧:٢) . ويظل الموت إلى أن ينتهى العالم (آخر عدو يبطل هو الموت) (١كو ٢٦:١٥) . ولم يكن ممكناً أن يموت أبوانا فى التو واللحظة ، وإلا تكون البشرية كلها قد إنتهت وزالت ، ويكون الشيطان قد إنتصر فى المعركة إنتصار ساحقاً ، ولا يكون هناك خلاص ، الخلاص الذى أعده الله لآدم وبنيه ، لذلك تأجل هذا الموت إلى حين ، ريثما تلد حواء بنين وتربيهم ، لأنه فيما بعد سيأتى من نسل المرأة من يسحق

رأس الحية ، ويطلب ويخلص ما قد هلك . ومع تأجيل هذا الموت الجسدى ، كانت هناك أنواع أخرى من الموت ، تم بعضها فى التو واللحظة :

+ هناك الموت الروحى وهو إنفصال الروح عن الله . فالخطية موت ، كما قال الأب عن إبنه الضال **«إبنى كان ميتاً فعاش»** (لو ١٥:٢٤) .

+ ومات آدم وحواء أيضاً موتاً آخر أدبياً :

فى هذا الموت الأدبى ضاعت كرامة الإنسان الأول ، **وفقد الحالة الفائقة للطبيعة التى خلق عليها** . وأكبر تعبير على هذا الموت الأدبى ، ان الله طرده من الجنة . على أنه من جهة هذين الموتين (الروحى والأدبى) ظل الله يعمل عملية إقامة من الأموات بالنسبة إلي آدم وبنيه ، لكى يرجعهم إلى رتبته الأولى ، ولكى تتم مصالحة بينهم وبين الله . ولكن الأمر كان يتوقف على مدى الإستجابة الفردية لعمل النعمة فى كل إنسان على حدة .

+ بقى الموت الأبدى ، وهو أخطر ما فى حكم الموت ، وهو الذى خلصنا منه المسيح بالفداء حين مات عنا .

٣ ـ فقدان الصورة الإلهية :

يقول قداسة البابا : فى حالة البر الأولى ، كان آدم على صورة الله ومثاله ، أما فى حالة السقوط ، فقد فقد الإنسان هذه الصورة الإلهية .

وفساد الطبيعة البشرية ، لم يعد يتفق مع الصورة الإلهية التى كانت له يوم الخلق . كان صورة الله ، فأصبح تراباً **«لأنك تراب وإلى التراب تعود»** .

٤ ـ فساد الطبيعة البشرية :

فقدت الطبيعة البشرية نقاوتها الأولى ، وبساطتها الأولى وعرفت الخطيئة وإختبرتها ، ودخلت فى ثنائية معرفة الخير والشر ، وفى الصراع بين الجسد والروح ، وهبطت إلى المستوى

الجسدى أحياناً كثيرة . وأصبح من السهل أن تخطىء لقد إنهارت هذه الطبيعة البشرية ، وإنحدرت إلى مستويات مؤسفة ، وتوارثت ألواناً من الفساد ، إلى أن وصلت إلى محبة الخطية ، وإلى العبودية لها ، وإلى إنكار الله والجهل به ، وفقد آدم وحواء هيبتهما وسلطتهما على الطبيعة وعلى الحيوان ، فتمردت عليهما الأرض ، وصارت تنبت لهما شوكاً وحسكاً وتمرد عليهما الحيوان وقامت عداوة معه ، وظهر فساد الطبيعة البشرية ، أيضاً فى إنحلالها ، فى تعب الجسد وتعب النفس ، وستبقى فى هذا الفساد إلى يوم القيامة حين **«يلبس الفاسد عدم فساد»** **(١كو ١٥:٥٤)** .

٥ ـ تعب النفس

لأول مرة نسمع عن أمراض النفس : نسمع فى قصة آدم وحواء عن الشهوة ، وعن الخوف ، وعن الخجل (أى الخزى) ثم عن معرفة آدم لحواء ... وعن سائر تعب الروح . وكل هذه كانت بداية ، إلى أن نسمع فى قصة قايين ، فى حياة أبوية آدم وحواء ، عن الحسد والغضب والقتل وعن القلق والرعب وفقدان السلام الداخلى (تك ٤) . وبدا أن أمراض النفس أخذت تزداد ، كمظهر من مظاهر فساد الطبيعة البشرية .

٦ ـ تعب الجسد

أصبح آدم يأكل خبزه بعرق جبينه ، يعمل فى الأرض وبالتعب يأكل منها كل أيامه ، وأصبحت حواء بالوجع تلد أولاداً . وثمة تعب آخر هو شهوات الجسد وغرائزة واشتياقه . وقبل الخطيئة لم يكن هناك تعب ولا وجع ... وما هذا كله إلا مظهر آخر لفساد الطبيعة البشرية . ولم يعد هناك من حل سوى إنتظار الخلاص الذى يأتى به المسيح ، حيث **«ينضح علينا بزوفاه فنطهر ، ويغسلنا فنبيض أكثر من الثلج ، ويمنحنا بهجة خلاصه»** **(مز ٥٠)** (شخصيات الكتاب المقدس ـ آدم وحواء ، قايين وهابيل ـ ص ١٤ ـ ٤٠) .

الايغومانس ميخائيل مينا

أولاً : حالة الإنسان قبل الخطيئة :

يقول الايغومانس ميخائيل مينا : ليس خافياً أن الإنسان الأول خلق بحال النعمة أى ليفعل أفعالاً جيدة موافقة ناموس الله الأزلى . ولم يخلق بهذه النعمة فقط ، بل خوله الله نعمة أخرى يدعوها علماء اللاهوت (نعمة البر الأصلى) لكونها منحت له مع الوجود ، وكانت عتيدة أن تعطى لجميع المولودين منه حال وجودهم . أما هذه النعمة ، أى نعمة البر الأصلى فكانت تفيض فى نفس آدم مواهب شتى أشهرها ما يأتى :

(١) نوراً وافراً ينزع من نفسه كل جهل نحو معرفة الأمور الواجبة عليه .

(٢) تجعل له معرفة كاملة دقيقة بجميع الأمور الطبيعية .

(٣) تجعل الجسد يتحد مع الروح وتحفظه سالماً من كل وجع وتعب وغم وخوف ومن الموت أيضاً .

وبحسب هذه الحال كان له أن يحيا فى السعادة الكاملة مالكاً كل نوع من الخيرات ، عائشاً بكمال الطمأنينة والراحة كصورة الله ونائبه ، حتى إذا ما أرضى خالقه بعد سنين متعددة مصروفة فى خدمته تعالى ، ينقله إلى ملكوت السماء ، ويشركه فى سعادة الملائكة . أى أن آدم لو لم يخطىء لما مات ، ولما كنا نحن أيضاً نموت ، بل نحيا حياة سعيدة على الأرض وأسعد منها بغير قياس فى السماء .

فالإنسان كان قبل الخطيئة ، كل شىء صالح وخيرى فى العالم ، وأما بعد الخطيئة فهو كل شىء باطل (أى أنه باطل بكل نوع من الأنواع وبكل وجه من الوجوه ، سواء نظرت إليه من جهة شرف نسله أم من جهة حسن صورته أم من جهة سمو قدرته ، أم من جهة كثرة خيراته ، أم من جهة عقله وحكمته) . وذلك لأنه فى حال بره كان متصفاً بفضلين يمتلك بهما

كل الخيرات الموجودة فى العالم . وهذان الفضلان أحدهما عدم الموت والآلام من جهة الجسد ، وثانيهما من جهة الروح .

ثانياً : حالة الإنسان بعد السقوط

هذه المواهب الجليلة التى كان يتمتع بها الإنسان قبل سقوطه كما يقول الايغرمانس ميخائيل مينا ، فُقدت بالمخالفة وزالت وجرحت الطبيعة البشرية بسهام الخطيئة القتالة ، وفسدت فساداً لاحد له ، حتى أنها انصبت إلى الشرور وتهافتت على الملاذ المحرمة بصورة مروعة . لأن الخطيئة أوجدت فى نفس الإنسان معصية الجسد على الروح . وكما أن الروح عصى على الله بمخالفته ناموسه ، هكذا اتفق بمقتضى العدل الإلهى أن يعصى الجسد على الروح ويجمح إلى طلب اللذات الجسدية بخلاف ما يأمر به العقل الذى كان من قبل خاضعاً له ، ومن ثم قال بولس الرسول :أما أنا فجسدى مبيع تحت الخطية (رو ٧:١٤) .

فالإنسان بعد سقوطه ، قد استحوذ عليه شران فاشترك بهما فى كل شر موجود فى العالم . وهذان الشران هما قبول جسده الموت وروحه الخطيئة . فمن كونه مائتاً من جهة جسده ، فإنه يسقط فى كل النقائص وفى كل أنواع الشقاء والذل المستحوذ على المخلوقات الدنيئة ، ومن كونه قابلاً الخطيئة من جهة روحه ، فهو يشترك فى تعذيب البرايا الشريفة أى الملائكة المرذولين .

ثالثاً : علة كون خطيئة آدم إمتدت إلى جميع نسله :

ذلك لأن آدم فى حال بره كان ينظر إليه بحسب وجهين ، أى أنه كان ينظر إليه -

أولاً - بحسبما هو أب أول للبشر كافة ، **وثانياً** : بحسبما هو رئيس ووكيل ، برسم الله ، لجميع المولودين منه . أو بعبارة أخرى ، كان ينظر إليه بوجهين ، أى وجهى الطبيعة والإرادة .

فحسبما هو أبونا ، لم يستطع أن يخلف لنا سوى الطبيعة البشرية المعتلة ، فورثناها عنه صاغرين .

أما اتلادنا منه خطاة وشركاء فى إثمه ، فذلك لا لأن كل واحد منا فعل هذه الخطية بإرادته الذاتية ، بل لكون ذلك الجد فعلها بإرادته وحده ، والله جل شأنه بقوة سلطانه المطلق على إرادة البشر ، أقامه شخصاً عاماً حاوياً إرادة البشر كلهم فى إرادته . نعم إننا لم نكن حينئذ فى الوجود ، ولكنا كنا فيه من حيث أنه مقام بأمر الله رئيساً علينا ووكيلاً لنا . ولهذا لم تكن فعلته كفعل شخصى خصوصى ، بل كفعلة «ولى» عام على جميع العائلة ، ومن ثم تنسب إليهم جميعاً ، وإن لم يشتركوا فيها معه . أليست إرادة القاصر متعلقة بإرادة وليه ، حتى أن كل ما يفعله الولى يحتسب أن القاصر نفسه فعله . وكذلك فلا عجب إن كنا نرى الخالق جل شأنه يعلق جميع إرادة البشر بإرادة أبيهم الذى أقامه ولياً عليهم ، لكى يكون كلما أراده هو ، أرادوه هم أنفسهم .

أما كون طبيعتنا قد فسدت ، لأننا ورثناها من جدنا هكذا معتلة ، فمسلم به ، لأنه حكم عادل لا ظلم فيه .

رابعاً : لماذا رسم الله أن يضع فى إرادتنا ، إرادة آدم أبينا ، لنشترك فى خطيئته وتعذيبه ؟

إن ذلك ـ فيما يقول الايغومانس ميخائيل ـ لسببين :

أولهما : سلطان الله المطلق وإرادته المطلقة .

وثانيهما : لكى يصير آدم بهذا الوجه معبراً عن المسيح الذى هو آدم الثانى ، الذى أراد الله أن يجعل فى يديه وإرادته خلاصنا الأبدى ، لكى يستحق لنا النعمة والمجد ، كما أن آدم استحق لنا الخطيئة والعذاب . ومن ثم ينتج أن آدم لم يكن ليصير رئيس الناس ووليهم إلا لأنه بهذا الوجه يكون معبراً عن المسيح الذى كان عتيداً أن يصير رئيس بنى الله كافة .

خامساً : هل خطيئتنا التى ورثناها عن آدم ، تعتبر فى نظر الله كخطيئة آدم نفسه ؟

ويشير الايغومانس ميخائيل إلى الفروق بين خطيئة آدم ، وخطيئة نسله ، على النحو التالى :

١ - إن الخطيئة الأصلية فى آدم ، كانت فعلية مخالفة وصية الله وصادرة عن ذات آدم ، أما فينا نحن ، فليست هى إلا مخالفة متعدية منه إلينا لأنه خلفها لنا .

٢ - إن الخطيئة الأصلية مفعولة بآدم بإرادته ، أما فينا فليست مفعوله بإرادتنا ، بل بإرادة غيرنا ، الذى قدمنا واحضرنا بشخصه من حيث أنه رئيسنا ووكيلنا العام . ومن ثم نحسب أننا أخطأنا معه ولكن بإرادته . لا بإرادتنا الذاتية ، ولذلك تكفينا إرادة آخر غيرنا لنيل الغفران عن هذه الخطيئة بإقتبالنا سر المعمودية .

٣ - إن هذه الخطيئة كانت فى أبينا - كالينبوع الأصلى المسموم ، لأنها جرت منه جميع الدهور وامتدت إلى جميع أولاده وأفسدت جميع نسله ، أما فينا فليست هى إلا سم ملازم لنا ، غير متعد منا لخلفائنا ، بل ممتد إليهم من قبل الجد الأول ؛ كما تعدى إلينا أيضاً من قبله ، من غير أن يكون فى قدرة أحد أن يمنع هذا التعدى الذى إمتد إلى جميع الدهور .

٤ - هذه الخطيئة هى فى شخص الإنسان الأول ينبوع جميع الخطايا وأصلها . وأما فينا فليست هى إلا ينبوع خطايانا فقط وأصلها .

٥ - إن هذه الخطيئة فى شخص الإنسان الأول ، ليست هى سبباً لحرمانه من المواهب الجليلة التى منحها فى حال خليقته فقط ، بل هى موجبة تعذيبه فى النيران الأبدية أيضاً . أما نحن فتصيرنا غير متمتعين بتلك المواهب السنية فقط ، خلوا من أن تصيرنا

مستوجبين العقاب فى النار الأبدية (ص ٤٤٠ ـ ٤٤٨) .

سادساً : ماذا يبقى من الخطيئة الأصلية ، بعد المعمودية

يقول الايغومانس ميخائيل مينا :

بما أن الإنسان بعد تطهيره من الخطيئة بماء المعمودية ، لا يعتق مطلقاً من نتائج الخطية الجدية والفساد الأرثى ، الذى هو الميل الطبيعى إلى الشر ، بل قد يجنح إلى الخطيئة تارة بإختياره وطوراً بالرغم منه ، فلهذا أقيم سر التوبة دواء شافياً من الخطايا المفعولة بعد إقتبال سر المعمودية ، ومن ثم دعاه آباء الكنيسة (معمودية ثانية) . (ص ٤٤٠ ، ٤٤١) .

نيافة الأنبا غريغوريوس

أولاً : وراثة الخطيئة :

أما لماذا يولد الإنسان أعمى من بطن أمه ، فلأنه يولد متلبساً بالخطيئة الأصلية ، وهى خطية الأبوين الأولين آدم وحواء . وكيف يولد متلبساً بخطيئة لم يفعلها هو ، بل إرتكبها الأبوان اللأصليان آدم وحواء ؟

والجواب على ذلك ـ فيما يقول أستاذنا صاحب النيافة الأنبا غريغوريوس ـ هو حكم الوراثة . فالإنسان يرث من أبويه ، بل ومن عائلته السمة والشكل الخارجى ، كما يرث الإستعداد للصفات النفسية والأخلاقية ـ والميول العقلية والذهنية . ثم يرث صفات جسمية ونفسية تنحدر إليه من جميع الآباء السابقين على أبويه القريبين ، أى من جميع أصول الشجرة البشرية وأروقتها ، موصولة بالآب الأول للجنس البشرى ، آدم ، الذى منه تفرع جميع الناس ، ومنه ولدوا وتوالدوا ، فإنتشر فيهم جميعاً دمه ، وبالتالى صفاته وميوله ، ولذلك صارت لجميع الناس صفات وخصائص مشتركة ، يشترك فيها جميعهم ، وهذه هى الصفات والخصائص التى يتميزبها جنس الناس ، وعليه يسمى جميع الناس بجنس واحد هو الجنس البشرى ، أو جنس بنى آدم .

قال الكتاب فى ذلك : **إن الله قد صنع من دم واحد جميع أمم الناس ، ليسكنوا على وجه الأرض كلها** (أع ١٧:٢٦) . ويقول النبى ملاخى : **أليس أب واحد لجميعنا** (ملاخى ٢:١٠) .

وهذه الوراثة قانون طبيعى ، مثلها مثل جميع القوانين الطبيعية فى ثباتها وحتميتها وعدم تخلفها . وتقوم فاعلية قانون الوراثة على شرعة التوالد فيكون الولد بالطبيعة إمتداداً لوالديه وقد إنتشر دمهما فيه ، وسرى فيه بالطبيعة كل ما سرى فى دمه من أبويه بالوراثة . وعن طريق التزاوج والتوالد ينتشر دم الولد الجديد فى أولاده ، وهكذا .

ثانياً : وراثة الحالة الساقطة

ولما ان تم التوالد فى الجنس البشرى بعد أن سقط الأبوان الأولان فى الخطيئة **«وعرف آدم حواء إمرأته فحبلت وولدت»** (تك ٤:١) ، فكان لابد لأولاد آدم أن يرثوا حالته الساقطة لأنهم ولدوا منه بعد سقوطه . ولو كانوا ولدوا منه قبل السقوط لكانوا قد ورثوا منه حالته السامية التى كان عليها قبل سقوطه . وهذا هو معنى قول الرب **«أنا الرب إلهك ، إله غيور ، أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع من مبغضى»** (خر ٢٠:٥) فإنتشار الخطيئة الأصلية من أبوينا آدم وحواء يتم طبقاً للقانون الطبيعى وبالتوالد عن طريق التزاوج . ولهذا يقول داود النبى **«ها أنذا بالإثم حبل بى وبالخطايا إشتهتنى أمى»** (مز ٥٠:٥) ، **«زاغ الخطاة من الرحم ، ضلوا من البطن»** (مز ٥٧:٣) . وقال الله بفم أشعياء **«من البطن سميت عاصياً»** (اش ٤٨:٨) . تلك النصوص وغيرها تشهد بأن الخطيئة بدأت فى جميع بنى آدم من قبل أن يولدوا ، منذ أن كانوا فى البطن ، وفى ارحام أمهاتهم ، بل أنها منذ لحظة الحمل ، وعند تكوين الجنين . ولذلك فإن الجنين يتكون بالإثم ويتصور بالخطيئة ، أى منذ أن تكون له صورة جنين .

ويتساءل نيافة الأنبا غريغوريوس : كيف إذن تصير الخطيئة لصيقة بالجنين منذ بدء تكوينه

وتشكيله ، حتى إنه يصير معجوناً بها وهو فى اللحظة الأولى لنشأته ، ما لم يكن الإثم موجوداً فى الدم الذى منه يتكون الجنين ؟ . إذن فهذه الخطيئة ليست خطيئة الجنين الفعلية ، وإنما هى الخطيئة التى إنتقلت إليه من أبويه عن طريق التوالد ، بفعل الحمل ذاته ، عندما تحبل به الأم . هكذا يقول النبى داود «بالإثم حبل بى وبالخطية إشتهتنى أمى» . إذن فى خلال شهوة الجنس ، وفعل الحمل أو الحبل ، تصل إلى الأبناء وحمة الإثم ولوثة الخطيئة الأصلية التى تسمى أيضاً بالخطيئة الجدية . خطيئة الجد الأول آدم .

وبعبارة أخرى ، إنه لولا التوالد بشهوة الجنس والحمل ، لما كانت الخطيئة الجدية تصل إلى الجنين وهو في رحم أمه . أى أنه طالما كان التوالد بإجتماع الرجل والمرأة فهناك الطريق إلى سريان الخطيئة الأصلية وإنتشارها ، من الجد الأول آدم إلى جميع ذريته .

يقول العلامة ديديموس :

«إن خطيئة الأبوين الأولين هى الخطيئة القديمة التى طهرنا منها يسوع المسيح فى معموديته» (فى الثالوث ٢:١٢) ، «إن جميع أولاد آدم قد ورثوها ، وإنتقلت إليهم بالخلقة ، عن طريق المعاشرة الجنسية بين الوالدين ، وهذا هو السبب فى أن المسيح ولد من عذراء لم تتلوث أو تتلطخ بها . وبالمعمودية يتطهر الإنسان من الخطيئة الأصلية وكل نتائجها ، ومن الخطيئة الفعلية الشخصية» (فى الرد على المانويين) .

وإذا كان الأمر كذلك فالمسيح وحده هو الذى حبل به بغير دنس الخطيئة الأصلية . ومن هنا يتضح لماذا لا تقبل كنيستنا الأرثوذكسية تعليم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية فى ان العذراء مريم حبل بها بغير دنس الخطيئة الأصلية .

ثالثاً : ما يتبقى من آثار الخطيئة الأصلية ، بعد المعمودية :

هذه الاثار شاء الله أن تبقى ولا ترفع ، لكى يكون بقاؤها أثراً يذكر الإنسان بالخطيئة ونتائجها ، ويحذره منها ، مثل ذلك الأثر الذى يتركه جرح قديم فى جسم الإنسان بعد شفائه منه ، فكلما تطلع الإنسان إلى أثر الجرح فى جسده ، ذكر السبب ، فيعتبر ، إن من آثار خطيئة آدم الباقية على الرغم من رفع العقوبة بصليب المسيح وموته ، الموت الذى دخل إلى العالم بالخطيئة . ومع الموت المرض والشقاء . فما زال الإنسان يأكل خبزه بعرق جبينه ، ومازالت الأرض تنبت للإنسان شوكاً وحسكاً ، ومازالت حواء تلد البنين بالأوجاع ، ومازالت العداوة قائمة بين الحية وبين حواء ونسلها ، وذلك كله حسب العقوبة حين توعد الله آدم بهذا كله .

ومن بين آثار خطيئة آدم ، الميل إلى الخطية الباقى فى طبيعتنا ... الميل رالشهوة . هذا الميل وهذه الشهوة يبقيان فى الجنس ، وينتقلان بالوراثة عن طريق التوالد بإجتماع الرجل والمرأة (المولود أعمى ص ١٣ - ٣١) .

الباب الرابع

الخطايا الفعلية

١ ـ تعريف الخطية

٢ ـ الخصائص الأساسية للخطية

٣ ـ طبيعة الخطية

٤ ـ هل هناك من سبب للخطية

٥ ـ اغراءات الخطية

٦ ـ اختلافات الخطايا

٧ ـ الخطايا الروحية والخطايا الجسدية .



الخطايا الفعلية[1]

أولاً : تعريف الخطية :

الخطية أمر له أبعاد جذرية فى حياة الإنسان ، وتؤثر فى أعماق شخصيته . فليست الخطية ـ كما يظن البعض ـ مجرد أعمال خاصة من المخالفة والتعدى على هذه القاعدة الأخلاقية أو تلك . إنها أكثر من مجرد الرذائل أو العادات الشريرة .

لو أن الخطية مجرد تعديات خاصة أو شرور خاصة ـ كما يظن الكثيرون ـ لكان من الممكن التعامل معها بأكثر نجاح . إن الإنسان يمكن أن يضبط نفسه ويتحكم فيها ، فيمتنع عن أعمال الفسق والفجور ، ولكن الخطية هى أيضاً حالة النفس الناتجة عن التوجيه الخاطىء لها . وعلى ذلك ، فلو أمكن أن يَضْعف أو يَبْطل أحد الأعمال الشريرة الذى كانت النفس تمارسه ، فمن السهل على النفس . أن تجد عملاً آخر أو مجالاً آخر لأعمال الشر . مثال ذلك : إن الإنسان يمكن أن تكون له إرادة قوية فى ضبط بعض الإغراءات الجسدية ، مثل الزنى وشرب الخمر ، ولكنه يكون ضعيفاً إزاء أنواع أخرى من الخطايا ومن أجل ذلك ، فإن تحديد الخطية ـ كما كان يرى أوغسطينوس ـ فى أنها كلمة أو فعل أو رغبة مضادة للقانون الأبدى (Aug . Contra Faust , xxii , 27) أو تحديد توما الاكوينى للخطية فى أنها ليست شيئاً آخر غير فعل الإنسان الشرير (Aquinas , Summa Theologica 1-11, 9. 17 , a . 6) ليس تحديداً كافياً .

(1) Thomas (G.F.) , Christian Ethics and Moral Philosophy (Charles Scribner's Sons - New York - 1955 - Ch. 8) .

إن هذه التحديات ، تلقى الضوء على طبيعة بعض الأفعال الشريرة لكن الخطية هى حالة من الخطيئة ، على نحو ما هى أيضاً خطيئة خاصة .

ثانياً : الخصائص الأساسية للخطية :

تتضح الخصائص الأساسية للخطية ، فى حقيقة أن الخطية فى أعماقها . هى حالة للنفس . ويمكن أن تفهم هذه الخاصية بصورة أوضح ، إذا قارنا بين الفكر المسيحى عن الشر الأخلاقى ، وبين الإتجاه العقلى أو العقلانى للأخلاق ، فى الفكر اليونانى .

كان سقراط يعرف الخطيئة بأنها جهل ، فهى ترجع فى نظره إلى نقص المعرفة . وقد أجمل أرسطو فلفسة سقراط الأخلاقية فى نقاط ثلاث يذكرها تيلور على النحو التالى :

(١) الفضيلة هى المعرفة ، ولذلك كانت الفضائل واحدة .

(٢) فالرذيلة أو السلوك الأخلاقى الشائن جهل أو غلط عقلى .

(٣) فارتكاب الشر لا إرادى [١] .

وعلى هذا - كما يشرح الدكتور كريم متى - حين يحصل الإنسان على المعرفة ، فلا يسعه - حسب رأى سقراط - أن يأتى الشر ، لأن السلوك الصحيح يلزم من المعرفة الصادقة لزوم النتيجة من المقدمات فى قياس صحيح : فارتكاب الشر فعل لا إرادى وسببه الجهل ، فلا يفعل الإنسان الشر إن عرف بأنه شر ، بل يفعله لأنه يتوهم بأنه خير . لقد وقع سقراط ضحية للإتجاه العقلانى عند الإغريق حين وحد بين الفضيلة والمعرفة ، فأغفل ما لقوة الغرائز والشهوات من تأثير فى السلوك الإنسانى . ولا شك بأن الإنسان قد يرتكب الشر عن قصد فلا يعصمه العلم عن فعل الشر [٢] .

---

(١) دكتور كريم متى : الفلسفة اليونانية - بغداد ١٩٧١ ص ١٤١

(٢) نفس المرجع ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

إن أهمية هذا الرأى الذى يقول به سقراط ، تظهر فى إن الإنسان - حسب إعتقاده - لا يرغب فى الشر من حيث هو شر ، ولكنه يرغب فى الشر ، فى ثوب أو زى الخير . إن الشيطان فقط هو الذى يرتكب الشر رغبة فى الشر ، أو بإعتبار أن الشر هو الصالح بالنسبة له ، أما الإنسان فلا يرغب إلا فيما يظهر له - بصورة ما - أنه خير .

على أن سقراط ليس محقاً فيما يقول ، فكثيراً ما يرغب الإنسان الشر وهو يعلم أنه شر أو يعلم أنه على درجة أقل من الفضيلة . فمثلاً - كما يقول توما الاكوينى : عندما يفضل الإنسان الخيرات الزمنية مثل الغنى واللذة عن مطالب العقل ، أو عن الناموس السماوى ، فإن هذا يعنى أن الإنسان هنا يرغب فى التضحية بخير روحى من أجل أن يحصل على خير زمنى . وهكذا فالإنسان يخطىء فى هذه الحالة ، لأنه يختار الشر عن معرفة وليس عن جهل .

وكما ان الخطية ليست نقصاً فى المعرفة ، فهى أيضاً ليست مجرد إفراط أو إسراف فى الشهوة أو العاطفة . وحقيقة أن الخطية تتحرك بدافع العاطفة - كما يقول توما الإكوينى - وأنه يمكن للعقل أن ينهزم إزاءها على الرغم من توفر المعرفة . ولكن بوجه عام ، ليس من الممكن أن نحدد الخطية فى أنها إفراط فى العاطفة ، ذلك لأن الشهوة لابد أن تقوم على قبول العقل وموافقته ، ولا بد أن تتبناها الإرادة ، قبل أن تقود إلى الفعل الشرير . وعلى ذلك ، فإن تحديد الفلسفة اليونانية للخطية ، بأنها نقص فى المعرفة أو إفراط فى الشهوة ، أو تحديدها بكلا الأمرين ، هذا التحديد لا يمكن قبوله . ذلك لأن النفس كلها بأكملها مشتركة ومتشابكة فى هذا العمل .

هذه هى الخاصية الأولى للخطية .

وثمة خاصية أساسية ثانية للخطية : وهى أنها تقسم النفس على ذاتها ، أو توجد إنقساماً فى النفس . هناك الإرادة الصالحة التى ترغب فى الخير الحقيقى ، ولكن الإرادة الأدنى

الخاضعة لسيطرة الخطيئة تعارض الإرادة الصالحة ، هذه الإرادة الأدنى تبدو كقوة غريبة ، صارت تمتلك النفس وتسيطر عليها . يقول الرسول بولس فى هذا الوصف الكلاسيكى للإرادة المنقسمة **«لأنى لست أعرف ما أنا أفعله إذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه فإياه أفعل ... فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة فىّ ،فإنى أعلم أنه ليس ساكن فىّ أى فى جسدى شىء صالح ، لأن الإرادة حاضرة عندى ، وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد»** (رو ٥:١٥، ١٧ ، ١٨) .

هذه الفقرة كتبها الرسول بولس من زاوية «الذات الأعلى» أو «الطبيعة الروحية» . وهذا هو السبب فى أن الخطية تبدو كقوة غريبة «ما لا أريده» . وتقع المأساة فى أن ما يفعله الرسول - هو خاضع لسيطرة الخطيئة - هو ما يعبر عن الإرادة الأدنى . إن «الذات الأعلى» ترغب فى الخير الحقيقى ، ولكن «الذات الأدنى» هى التى لها القوة فى أن تحقق ما تريد ، وما تريده ليس هو الخير الحقيقى .

ويتحدث القديس أوغسطينوس عن تجربته الخاصة فى إنقسام إرادته فيقول :

«عندما كنت مقيداً لا بقيود من حديد ، بل قيود من إرادتى ، التى كانت أصلب من الحديد ، لأن الطاغوث الرجيم إستأسر إرادتى ، من عهد رضاعها ، ومنها صنع سلسلة ، فقيدنى بها من كل جهة ، على أن الإرادة الشريرة هى مصدر الشهوة الخبيثة ، التى متى تبعناها صارت عادة . والعادة إذا لم نتغلب عليها سادت فينا سيادة قاهرة ، وصار الأمر بيدها ، وأضحينا نحن أسرى فى قبضتها . وهذه الحالات أشبه شىء بالسلاسل ، حالاتها متماسكة ، مترابطة الواحدة بالثانية ، وأنا كنت مأسوراً مقيداً بأغلالها المرة . نعم صار عندى إرادة جديدة ، وبها أخذت أسجد لك بالروح والحق ، وأتوق إلى التمتع بك ، أيها الإله ، الذى بك وحدك السعادة ،لكن هذه الإرادة لم تصر بعد قادرة على تلك الإرادة الأولى ، التى بتمادى الإستعمال صارت قوية مقتدرة .

فهاتان الإرادتان : القديمة والحديثة ، الجسدية والروحانية ، دارت بينهما معركة رهيبة ، وبعراكهما طحنتا نفسى وعركتاها . وبالإمتحان فهمت ما يعنى الرسول فى قوله **«إن الجسد يناصب الروح والروح يناصب الجسد»** (غلا ٥:١٧) وهاتان الإرادتان كلتاهما لى ، على أني ، ولو حدث الآن أنى أتبع الإرادة الشريرة عن كره لا عن رضى وطواعية ، إلا أن هذه الإرادة الشريرة التى كانت سائدة فى ، قد كانت من سوء تصرفى ومن إنقيادى وراء الشر .

وهكذا كان مصير الحال بى عن إختيار منى ورضى ، إلى أسر العبودية ، التى أنا أشكو من ثقلها باكياً نائحاً . فكيف أقيم الدعوى ، وعلى من أصدر الشكوى ، وأنا الجانى على نفسى ، بما صرت إليه من سوء الحال . وأى عذر لى فى ذهاب تلك الإرادة الصالحة منى ، وعدم رؤيتى الحق ؟ ... فكان سرورى بناموسك بحسب الإنسان الباطنى من العبث ، حيث كان فى أعضائى ناموس آخر يضاد ناموس ضميرى ويستعبدنى لناموس الخطية التى فى أعضائى . ما هو هذا الناموس ، ناموس الخطيئة ؟ إن هو إلا صولة العادة الشريرة ، التى بقوتها تلقى القبض على النفس وتأسرها . ولئن كانت النفس لا تحب هذا الأسر ، إلا أن ذنبها قد قضى عليها أن تقع فيه عن رضى وإختيار . آه ما أشقانى وأسوأ حالى ؟ من ياترى يمكنه أن ينقذنى من هذا الجسد الفاسد المائت ؟ غير نعمتك بيسوع المسيح ربنا » (الكتاب الثامن - الفصل الثالث) - عربه الخورى يوسف العلم - المعهد الإكليريكى الفرنسيسكانى الشرقى بالجيزة - مصر - ١٩٥٧) .

ويقول أيضاً القديس أوغسطينوس فى موضع آخر «متى كانت الإرادة ضعيفة غير عزومة ولا متشددة ، فكيف والحالة هذه ينجز أمرها بالعمل ؟ وليس هذا الشىء من المستغربات ، بل هو من مرض فى النفس التى ترى من جهة الحقيقة فتنهض قائمة تريد الخير ، ولكن من جهة

ثانية ، تضغط عليها عادتها الخبيثة ، فترتد هابطة تطلب الشر . فيكون فينا والحالة هذه إرادتان . لكن واحدة منها غير كاملة ، بل عوجاء ملتوية ، فلا تطاوع الآخرى .

ويواصل القديس أوغسطينوس حديثه عن الإنقسام الذى تخلفه الخطية فى الإنسان فيقول :

ألا فليخزين من أمام وجهك ، أيها الرب الإله ، أولئك المانويون المهذارون ، الذين عند رؤيتهم هاتين الإرادتين المتناقضتين ، قالوا بوجود نفسين تختلفان فى طبيعتهما : أحدهما صالحة ، والثانية شريرة . ولكن ساء ما قالوا ، وبئس ما زعموا . فلو أنهم نظروا إلى الحقيقة ، واستضاءوا بمشكاتها ، لعرفوا ما هما هاتان النفسان وهاتان الطبيعتان .

وها أنا ذا فإنى لما كنت متردداً فى أمرى بين أن أرجع إلى الله أو أبقى على الشر ، **كنت أنا الذى أريد ، وأنا الذى لا أريد** . وذلك لأنى ما كنت أجزم بالتمام ، ولذلك **وقع العراك بينى وبين نفسى** .

على أنه إذا كان هذا الخلاف فى الداخل ضد هواى ، إلا أنه لم يكن عن تمرد طبيعة غريبة ، بل كان إقتصاصاً من طبيعتى الفاسدة . وذلك لأن العناد الذى كان يصدر ، لم يكن منى بل من الشهوة الخبيثة الساكنة فىَّ التى تولدت فىَّ إقتصاصاً عن جريرة سابقة ، (الكتاب الثامن ـ الفصل السابع) .

وهكذا يمكن القول ، أن من الخصائص الأساسية للخطية ، أنها تسيطر على النفس وتمنعها من أن تفعل ما ترغب هى أن تفعله من الصالح .

إن الخطية تفسد جميع وظائف النفس . **فالقلب** يضل ويكف عن محبة الخير الأسمى أو يحبه بتخاذل ووهن وبغير تواصل . وفى نفس الوقت يهيم أو يغرم بالقيم الخادعة سريعة الزوال . **والإبداع** يكف عن أن يتصور الحقيقة المطلقة والخير ، ولكنه ينتج نوعاً من الصور والملذات الحسية الصاخبة بروح العربدة والإستهتار . **والعقل** لا يعود يشغل نفسه بالحقيقة

الروحية ، ولكنه ينشغل فقط بالأمور العملية فى الزمن وفى المكان ، ويصير أكثر فأكثر آلة لإرضاء الرغبات الشخصية وتبرير الإهتمامات العامة . وحتى **الشهوات** فإنها تنحرف ، مثال ذلك ، فإن الدافع الجنسى عند الإنسان ـ تحت تأثير التصور ـ يصير وسيلة للإشباع الأنانى فى غير مجاله الشرعى . وكذلك فإن غريزة «حب البقاء» تصبح «حباً للقوة» .

وعلى هذا النحو ، فإن الخاصية الأساسية للخطية لا تبدو فقط من حيث أن لها القوة على أن تقسم الذات على نفسها ، بل أكثر من ذلك أنها تفسد كل وظائف النفس ، فلا تستعمل هذه الوظائف فى وضعها الطبيعى كأداة لخدمة طبيعة الإنسان الروحية والخيرة .

فالخطية تضعف الميل الطبيعى لعمل الخير .

ثالثاً : طبيعة الخطية

ما طبيعة ذلك الشر الأساسى والعام فى النفس ؟

الخطية هى حالة النفس عندما تنصرف وتبتعد عن الله وتصبح غريبة عنه . أنها تمزيق وتحطيم وتخريب وتعطيل للعلاقة الأصلية واللائقة بين الإنسان والله ، ذلك الإنسان الذى هو خليقة الله والذى ينبغى عليه أن يعرف مسئوليته تجاه خالقه . وهو من حيث أنه صورة الله ، فينبغى أن يسلك بما يجعل الصورة قادرة على أن تعكس «الأصل» ، أى تعكس الله فى ذات الإنسان وفى أعماله . وهكذا فإن الخطية ، يجب أن تفهم من الناحية الدينية ، قبل كل شىء ، كغربة عن الله ، الذى هو مصدر وجود الإنسان وخيره .

إن الإنسان كائن محدود ، ويجب أن يسلك نحو الله فى تواضع ويعتمد على ثقته فى محبة الله وخيره . وبقدر ما يتكل على الله ويثق فيه بقدر ما يحقق الإنسجام مع الله ومع العالم ومع الآخرين ومع نفسه . ذلك لأن الإنسان كائن محدود يحتاج إلى أن يتكامل وجوده بالإتحاد مع خالقه غير المحدود . الإنسان كائن ناقص يحتاج لأن يتكامل بالتمثل بالبر الإلهى . وهو كائن

يحتاج إلى عون قوة الله ومحبته الأبدية ، تسنده فى وجوده المزعزع غير الثابت . ومن ناحية أخرى فإنه إذا تخلى عن ثقته فى الله ، فإن هذه العلاقة الطبيعية مع الخالق والأب السماوى ، يصيبها العطب ، ويكف عن أن يعترف ويقر بحاجته إلى الإعتماد على عناية الله ، وإلى أن يعكس كمال الله فى حياته . أنه سوف يحاول أن يفصل نفسه عن الله ، ويعيش مستقلاً عنه . وبإختصار ، فإنه يجعل نفسه - بدل أن يجعل الله - مركزاً لحياته .

إن الخطية هى محبة للنفس بدلاً من محبة الله . وجميع الخطايا الخاصة بأنواعها المختلفة ، ما هى إلا مظاهر لهذه المحبة للنفس . وهكذا يتحدث القديس أوغسطينوس عن الخطية بإعتبارها إنصرافاً عن محبة الله (amor Dei) وتركيز فى محبة النفس ، بإعتبارها خيره الأسمى . وأيضاً توما الاكوينى يشير إلى أن محبة النفس (amor sui) هى أصل لكل الخطايا الخاصة . وبكل وضوح فإن الغربة أو الإنفصال عن الله ، ومحبة الذات هما نفس الشىء ، منظوراً إليهما من حيث الذات التى ينفصل عنها الشخص (أى ذات الله) والذات التى يتجه إليها الشخص (أى ذاته البشرية) . فعملية الإبتعاد عن الله ، هى بعينها عملية الإتجاه نحو الذات ، والعكس بالعكس .

ولكن ما الذى يجعل هذا العمل خطية ؟

إن الإنسان بحسب طبيعته التى خلق عليها ، يعتمد فى خلقته وفى الحفاظ على حياته على الله . وإذا خلق الإنسان على صورة الله ، فهو إذن بحسب طبيعته يوجد فى وضع الإبن بالنسبة لله يستجيب لمحبة الله ويعمل فى خدمة مشيئته . وعلى ذلك ، فإن إنصراف الإنسان عن الله وإتجاهه إلى ذاته ، هو إنكار لحاجته للإعتماد على الله وإنكار المسئولية تجاه الله . إنه يتصرف كما لو كان يعتمد فقط على نفسه فى وضع الثائر ضد الهه البار ، ويجعل من نفسه سيد نفسه ، وهذا لا يتضمن فقط التنكر لمحبة الله ، ولكنه أيضاً يتضمن تنكر الإنسان لطبيعته .

رابعاً : هل هناك من سبب للخطية ؟

ما هو سبب تغرب الإنسان عن الله ومحبته لذاته ؟ إذا كنا نقصد بسبب الحدث ، حدثاً آخر يكون شرطاً ضرورياً وكافياً لهذا الحدث ، وأن حضوره يتطلب بالضرورة أن يتبع بالحدث ، عند ذلك فليس هناك من سبب يمكن أن يعطى للخطية . لقد قلنا أن الخطية هى حالة للنفس . فإذا حاولنا أن نبحث عن سبب لها خارجاً عن النفس ، فإننا ننكر مسئولية النفس فى إبتعادها عن الله وإتجاهها نحو ذاتها ، مما أدى إلى خلق هذه الحالة . مثال ذلك إن القول بأن سبب الخطية الخارجى هو إغراء الشيطان ، فإن هذا يتضمن القول بأن الإرادة ليست حرة فى رفض هذا الإغراء . ولقد أكد توما الاكوينى أن الشيطان لم يكن هو سبب الخطية ، وأصر على أن الشيطان هو فقط يحرض أو يحث على الخطية ، وذلك بتقديمه للحواس موضوعاً للشهوة ، أو بإقناع العقل وإغرائه .

وهكذا - حسب رأى توما الاكوينى - فإن الإرادة لا تتحرك بالضرورة بأى موضوع خارجى . فلا الموضوع الخارجى ولا هذا الذى يقنع ويغرى ، هو السبب الكافى للخطيئة .

فإذا كان لا يمكن تصور وجود أى سبب خارجى للخطية دون إبطال لمسئولية النفس ، فهل يمكن لنا أن نجد سبباً داخلياً للخطية ، يحفظ للنفس مسئوليتها تجاه الخطية ؟

لقد تعامل توما الاكوينى مع هذا التساؤل ، وأكد أن الإرادة فى فشلها لتحقيق حكم العقل أو حكم الناموس الإلهى ، هو السبب فى الخطيئة ولكن يبقى التساؤل : لماذا تفشل الإرادة فى تحقيق حكم العقل أو حكم الناموس الإلهى ؟

ويجيب توما الاكوينى : بينما أن العقل والإرادة يعتبران العلة القريبة للعمل الخاطىء ، فإن الشهوة الحسية التى تميل بالإنسان نحو موضوع الخطية ، تعتبر العلة البعيدة للعمل الخاطىء . وفى هذه الحالة فإن سبب الخطية هو خير ما ظاهر كدافع للخطيئة . وعلى أية

حال ، فإن هذا الخير الظاهر أمام الشهوة الحسية - فيما يرى توما الاكوينى - يمكن أن يكون دافعاً للعمل فقط عندما ينقص حكم العقل . وهكذا ، فإن السبب الداخلى للخطية ، هو سبب مركب إذ تشترك فيه : الإرادة (التى تنفذ الفعل الخاطىء) والعقل (من حيث أنه ينقصه التبرير المناسب ، أو إمعان النظر بصورة كافية) والشهوة الحسية ، التى تميل بالإنسان وتنزع به إلى الفعل الخاطىء .

وحسب هذا الرأى - الذى قال به توما الاكوينى - فإن الإرادة تكون هى سبب الخطية فقط فى معنى أنها تنفذ قراراً وصل إليه الإنسان بالعقل تحت تأثير خير ظاهر ، قُدم لها عن طريق الشهوة الحسية . وهذا يعكس فكر توما الاكوينى الذى يعطى للعقل الأولوية عن الإرادة .

على أن هذا يدفعنا لأن ننظر أبعد من ذلك للبحث عن سبب الخطيئة . لأنه ، لماذا ينقص العقل ، النظر الكافى ويسمح لنفسه أن يقتنع بالشهوة الحسية ؟

إن هذا لا يعنى إلا أن العقل نفسه مقهور من الشهوة ، ومن أجل ذلك فإنه يعجز عن أن يطبق معرفته العامه عن الخير أو يطبق واقعياً هذه المعرفة ، فى قرار يختص بواقعة جزئية . غير أن هذا تعليل غير كاف لأنه يعادل قولنا : إن الشهوة الحسية التى تتجه نحو الخير الأدنى ، هى قوية إلى هذه الدرجة التى تقنع بها العقل بأن يصادق عليها ويستحسنها .

على أن هناك جانباً آخر فى فكر توما الاكوينى ، هو أقرب إلى الإختيارية (الإرادية) الأوغسطينية (St. Augustine's Voluntarism) من العقلانية اليونانية . ففى فقرة هامة من كتاباته ، يقول بأن محبة النفس هى علة الخطية . إن السبب الجوهرى للخطية - فيما يقول - هو «التمسك بخير متغير غير مستقر» ، «وفى الواقع ، فإن رغبة الإنسان الجامحة فى خير زمنى دنيوى - فيما يقول - ترد إلى حقيقة أنه يحب نفسه حباً جامحاً متطرفاً . فأن يرغب الإنسان فى خيرما ، فهذا معناه أنه يحبه ، وعلى هذا فقد أصبح واضحاً أن محبة الإنسان

لنفسه محبة متطرفة هى علة كل خطية» . وهذا القول لتوما الاكوينى ، يعنى أن الشهوة الحسية لخير زمنى دنيوى ، ليس من الممكن أن تكون قوية لهذه الدرجة التى تحظى فيها بموافقة العقل ، إلا إذا كانت محبة النفس قد سيطرت وتحكمت فى الإرادة البشرية . وفى كلمات أخرى : فإن الشهوة الحسية تقود إلى خطايا خاصة جزئية ، ولكن وراء هذه الخطايا ، تقف حالة خاطئة للإرادة ، وهى محبة النفس . وهكذا فإلى هذا الحد الذى يؤكد فيه توما الاكوينى بأن محبة النفس هى أصل لكل خطية ، فهو يقترب هنا من رأى القديس أوغسطينوس العميق ، بأن الخطية هِى فى المقام الأول ، عمل الإرادة عندما تنصرف عن محبة الله إلى محبة النفس . وهكذا ، يمكننا أن ننتهى إلى القول ، بأن محبة النفس هى جوهر الخطايا وهى علة كل خطية خاصة .

خامساً : إغراءات الخطية

يمكننا هنا أن نشير إلى بعض الإغراءات التى تدفع إلى الخطيئة . على أن هذه الإغراءات ليست هى الخطية لأنه من الممكن أن تقاوم . ومن هذه الإغراءات :

١ ـ الشهوة الطبيعية : التى تخلع على الفعل الخاطىء ألواناً مزيفة ، فيبدو فى مظهر الخير . هذه الشهوة الطبيعية لا تعتبر خطية فى ذاتها ، لأنها يمكن أن توجد دون أن تقود إلى الخطيئة ، فمثلاً ، قد لا تحصل على موافقة الإرادة الأمر الذى يتطلبه العمل والتنفيذ . وعلى أية حال ، فإن الشهوات الطبيعية هى واحدة من أكثر الأسباب العامة التى تدفع للخطية ، وتغرى على إقترافها ، أى أنها من أهم الإغراءات لعمل الخطيئة .

٢ ـ العادات والنظم الإجتماعية : إن الفرد ليس مستقلاً عن ثقافة المجتمع التى يعيش فيها ولكنه يتأثر بها منذ بدء حياته . وإذا كان لا يجب أن ينظر إلى المحيط الإجتماعى على أنه علة للخطية ، لأن الإنسان ككائن روحى يمكن له أن يقاوم الشرور ويرتفع عليها ، لكن

على كل حال يمكن أن يكون للثقافة المحيطة بالإنسان أثر فى الإغراء على عمل الخطية .

٣ ـ **القلق والإفتقاد إلى الشعور بالثقة والأمان** : فهذا كثيراً ما يكون عاملاً مغرياً لإرتكاب الآثام وإقتراف الخطايا . ونشير هنا إلى بعض أمثلة من الكتاب المقدس عن الإغراءات أو التجارب التى يمكن أن تدفع إلى إقتراف الخطايا :

يقول الرسول يعقوب **«لا يقل أحد إذا جرب إنى أجرب من قبل الله . لأن الله غير مجرب بالشرور وهو لا يجرب أحداً . ولكن كل واحد يجرب إذا إنجذب وإنخدع من شهوته . ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية والخطية إذا كملت تنتج موتاً»** (يع ١:١٣ ـ ١٥) .

ويقول الرسول بولس **«كى لا يتزعزع أحد فى هذه الضيقات ، فإنكم أنتم تعلمون أننا موضوعون لهذا . لأننا لما كنا عندكم سبقنا فقلنا لكم إننا عتيدون أن نتضايق كما حصل أيضاً وأنتم تعلمون . من أجل هذا إذ لم احتمل أيضاً أرسلت لكى أعرف إيمانكم لعل المجرب يكون قد جربكم فيصير تعبنا باطلاً»** (١تس ٣:٣ ـ ٥) وكذلك يقول **«لأننا لما أتينا إلى مكدونية لم يكن لجسدنا شىء من الراحة بل كنا مكتئبين فى كل شىء ، من خارج خصومات ، من داخل مخاوف»** (٢كو ٧:٥) ، **«وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون فى تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرة تغرق الناس فى العطب والهلاك ، لأن محبة المال أصل لكل الشرور ، الذى إذا إبتغاه قوم ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة . وأما أنت يا إنسان الله فإهرب من هذا .. أوصى الأغنياء فى الدهر الحاضر أن لا يستكبروا ولا يلقوا رجاءهم على غير يقينية الغنى ، بل على الله الحى الذى يمنحنا كل شىء**

بغنى للتمتع .. يا تيموثيوس إحفظ الوديعة معرضاً عن الكلام الباطل الدنس ومخالفات العلم الكاذب الإسم ، الذى إذ تظاهر به قوم زاغوا من جهة الإيمان» (اتى ٦:٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٧) ويذكر القديس لوقا فى سفر الأعمال قول الرسول بولس «أخدم الرب بكل تواضع ودموع كثيرة وبتجارب أصابتنى بمكايد اليهود» (أع ٢٠:١٩) .

وفى مثل الزارع يقول السيد المسيح «والذين على الطريق هم الذين يسمعون ثم يأتى إبليس وينزع الكلمة من قلوبهم لئلا يؤمنوا فيخلصوا ، والذين على الصخر هم الذين متى سمعوا يقبلون الكلمة بفرح . وهؤلاء ليس لهم أصل فيؤمنون إلى حين ، وفى وقت التجربة يرتدون . والذى سقط بين الشوك هم الذين يسمعون ثم يذهبون فيختنقون من هموم الحياة وغناها ولذاتها ولا ينضجون ثمراً» (لو ٨:١٢ ـ ١٤) .

وفى عظته على الجبل ، قال السيد المسيح «لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذى يؤدى إلى الهلاك . وكثيرون هم الذين يدخلون منه» (مت ٧:١٣) .

وجاء فى سفر حبقوق «لأن الشرير يحيط بالصديق ، فلذلك يخرج الحكم معوجاً» (حبقوق ١:٤) . وجاء فى سفر الأمثال «لا تغر من الأشرار ولا تحسد الأثمة» (أم ٢٤:١٩) .

والكتاب المقدس ملىء بالإشارة إلى المغريات التى تدفع إلى عمل الشر .

سادساً : إختلاف الخطايا :

هل تعتبر جميع الخطايا متساوية ، أم أن هناك إختلافاً فى نوعية الخطايا . إن الفكرة العامة فى المسيحية ، ان الخطايا ليست متساوية . فهناك خطايا أخطر من خطايا أخرى . هذا الفكر المسيحى يستند إلى تعاليم السيد المسيح نفسه ، الذى علم أن المعرفة الأكثر عن الخير

أو الشر ، تحمل معها ذنباً أكبر **«وأما ذلك العبد الذى يعلم إرادة سيده ولا يستعد ولا يفعل بحسب إرادته فيضرب كثيراً . ولكن الذى لا يعلم ويفعل ما يستحق ضربات ، يضرب قليلاً : فكل من أعطى كثيراً يطلب منه كثير ، ومن يودعونه كثيراً يطالبونه بأكثر»** (لو ١٢:٤٧ ، ٤٨) . ولقد طبق السيد المسيح نفس المبدأ على كل المجتمعات البشرية **«ويل لك ياكورزين . ويل لك يابيت صيدا . لأنه لو صنعت فى صور وصيداء القوات المصنوعة فيكما لتابتا قديماً فى المسوح والرماد . ولكن أقول لكم إن صور وصيداء تكون لهما حالة أكثر إحتمالاً يوم الدين مما لكما . وأنت يا كفر ناحوم المرتفعة إلى السماء ستهبطين إلى الهاوية ، لأنه لو صنعت فى سدوم القوات المصنوعة فيك لبقيت إلى اليوم . ولكن أقول لكم إن أرض سدوم تكون لها حالة أكثر إحتمالاً يوم الدين مما لك»** (مت ١١:٢١ - ٢٤) .

على أن هناك من يسىء إستعمال هذا التعليم فيستخدمه لتثبيت بره وأفضليته على الآخرين ، وذلك بالمقارنة بين أخطائه البسيطة إذا قورنت بأخطاء الآخرين الخطيرة . أليس من السهل مثلاً علينا أن نقتنع بأن إنفعال الغضب المصحوب ببعض الكلمات الحادة أقل خطورة من إرتكاب عملية القتل ؟ ولكن على أية حال - إذا لم ندخل فى إعتبارنا هذا الإستعمال السىء لهذا التعليم ، فبلا شك نحن أمام تعليم له قيمته الكبرى . إنه يعطى معنى لمقاومة الخطايا التى تحيط بالفرد ، وتشجعه على أن يسعى للسمو بأخلاقياته . إنها تحفظ الإنسان من التعرض لليأس بسبب خطاياه ، وذلك إذا إعتقد أنه مهما أصلح من وضعه ، فهو إنسان خاطىء . وهذا التعليم يتمشى أيضاً مع منطق الفكر العام من أن هناك بعض الأفعال يجب أن تدان أكثر من أفعال أخرى . وهكذا يكون من الصالح الأخذ بهذا التعليم ، سواء من جهة مسلكنا الأخلاقى ، أو من جهة أحكامنا الأخلاقية .

ومن بين الذين رفضوا هذا التعليم على إعتبار أنه يفضى إلى الإحساس بالبر الذاتى والإفتخار الشخصى ، الأستاذ Reinhold Niebuhr الذى قال بأن هناك تساو فى الخطيئة ، بينما قبل عدم التساوى فى الجريمة . فبحسب رأيه ، فإن الجريمة تمثل النتائج التاريخية والموضوعية للخطية . فالناس فى نظره متساوون فى خطاياهم ولكنهم يختلفون فى نتائج هذه الخطايا .

على أن هذا الرأى لا يمكن قبوله للأسباب الآتية :

١ - ليس هناك أساس كتابى لهذا التعليم . وعندما يقول الرسول **«بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون ، لأنه لافرق ، إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله»** (رو ٣:٢٢ ، ٢٣) ، فهو هنا يشير إلى أنه ليس هناك إختلاف بين البشر فيما يختص بحضور الخطية فى حياتهم ، وبمعنى آخر : فإنه يؤكد عمومية الخطية أكثر مما يؤكد تساوى الخطية .

٢ - إن جريمة الشخص ترتبط بخطيئته . وإذا كانت جريمة رجلين غير متساوية ، فإنها لا يمكن أن تكون كذلك إلا لعدم التساوى أيضاً بين خطيئتيهما ، لأنه إذا كانت الخطيئة هى أرضية الجريمة ، فإنه يجب أن يكون هناك تناسب بين الخطايا ، مثل التناسب بين الجرائم . وعلى ذلك فإذالم يكن هناك تساوٍ فى الجرائم ، فما ذلك إلا لأنه ليس هناك تساوٍ بين الخطايا .

ومن ناحية أخرى فإن صلاح الإنسان البار ، لا يقاس بصلاح الله الكامل . وإذا تحدثنا عن بعض الناس الأقل شراً من أناس آخرين أكثر شراً ، فإن ذلك يعنى أن هؤلاء الأقل شراً ، خطاياهم تافهة . إن جميع الناس قد خطئوا ، وجميع الناس يحتاجون إلى الفداء . إن أحداً لا يستطيع أن يصلح نفسه بنفسه وينمو بمجهوده الخاص فى حياته الروحية والأخلاقية ليصير أقل خطية . فى هذه الحالة هناك تساو فى الخطية ، بمعنى أنه لا أحد من الناس يمكن

أن يتخلص من حالة الخطيئة ويبلغ كمال البر الذى يتطلبه الله ، فحيث أن الخطية تنبع من علاقة خاطئة مع الله ، فإنه لا يمكن التخلص منها إلا بإعادة توجيه النفس من «حب النفس» إلى «حب الله» . وهذا التوجيه ليس هو أمر «درجة» يختلف فيها الواحد عن الآخر ، بل هو حاجة عامة عند البشر أجمعين .

إن الوضع الصحيح لمعالجة هذا الأمر ، ليس هو الحديث عن «التساوى فى الخطية» . فعلى الرغم من أن جميع الناس خطاة ، فإن خطيتهم لا تظهر فى درجة متساوية ، من وجهة النظر الأخلاقية .

وعلى ذلك ، فعلينا أن نؤكد عدم التساوى فى الخطية ، كما تظهر نفسها فى مسلك البشر وتصرفاتهم ، وفى نفس الوقت ، نؤكد أنه حتى بالنسبة لهؤلاء الصالحين ، فهناك فارق لا يمكن تجاوزه بين بر الله ، وبر الإنسان ، أو صلاح الله وصلاح الإنسان .

سابعاً : الخطايا الروحية والخطايا الجسدية :

لعل أهم تمييز بين أنوا ع الخطايا هو التمييز بين «الخطايا الروحية» و«الخطايا الجسدية» . وهذا يقوم على التمييز بين إهتمامات النفس التى ترتكز بالدرجة الأولى على الشهوات أو الأهواء «الطبيعية» وبين إهتمامات النفس التى ترتكز بالدرجة الأولى على الرغبات الروحية .

وهكذا بين الخطايا السبعة الكبيرة التى تشير إليها الأخلاقيات المسيحية فى العصور الوسطى ، فإن الشراهة «البطنة» Gluttony والشهوة lust والغضب anger ، تعتبر من الخطايا الجسدية ، لأنها تنبع من الدوافع البيولوجية : الجوع hunger والجنس sex والرغبة العنيفة rage ومن ناحية أخرى ، فإن الغرور vainglory والحسد envy ، يمكن أن يعتبرا من الخطايا الروحية ، لأنهما يقومان أساساً على الرغبة فى التفوق على الآخر أكثر من الدوافع البيولوجية .

على أن هذا التمييز فى الواقع هو تمييز نسبى . فالجشع (البخل) Avarice والكسل sloth من الصعب تصنيفهما . ثم إن سمات النفس البيولوجية والروحية ، هى سمات مترابطة لدرجة كبيرة ، بما لا يسمح لتقديم تصنيف بسيط عن الرغبات . إن الغضب مثلاً له أساس بيولوجى ، ولكنه يمكن أن يثور نتيجة لجرح خفيف للكرامة الشخصية ، أو بسبب نجاح منافس أو خصم . فى مثل هذه الحالات عى الأقل ، فإنه ينبع من الخطايا الروحية ، أى من الغرور والحسد . ويجب أن نذكر هنا أن افلاطون كان يعتبر الغضب نابعاً من المبدأ الحيوى فى النفس أو الجلد (الإحتمال) mettle ، الذى يقع فى موضع متوسط بين الشهوة lust والعقل reason ، الذى يقود الإنسان لأن يرفض الإساءة ، ويدافع عن نفسه ضد الشر .

وهكذا ، فإن الغضب يبدو أنه يحتوى مبادىء روحية وبيولوجية فى نفس الوقت ، وكذلك فإن الشهوة lust هى تعبير عن الفخر pride (الزهو - التشامخ - الكبرياء) ، فى صورة الرغبة فى القوة ، أكثر من مجرد تعبير بسيط عن الدافع الجنسى . ثم إن الشراهة ، فى صورة «السكر» هى فى الغالب تعبير عن الغرور . هذه الأمثلة تحذرنا من خطأ الإعتقاد بأن الخطايا الخاصة أو الشرور هى كينونات منفصلة أو مستقلة . إنها فى حقيقتها تعبيرات نابعة (متوافقة) عن محبة النفس . وعلى ذلك فإن أى تصنيف للخطايا ، له فى الواقع قيمة محدودة . ومع ذلك فإن التمييز بين الخطايا الخاصة ، وعلى الأخص بين الخطايا الجسدية التى تكون متضمنة فى «الشهوانية» (الحسية - الإنغماس فى الشهوات الحسية) Sensuality ، والخطايا الروحية التى هى تعبير عن الإعتداد بالنفس (الزهو - الكبرياء) ، هو أمر حقيقى . وتظهر حقيقة هذا الأمر ، ليس من حيث أن الخطايا المختلفة لها غايات مختلفة أو موضوعات مختلفة (فموضوع الشهوة هو الإرضاء الجنسى ، وموضوع الغرور هو المدح من الآخرين)) ولكن أيضاً من حيث أن المرأ يمكن أن يكون خاضعاً لسيطرة خطيئة ما ، بينما يكون متحرراً من الخطايا الأخرى . إن خطيئة ما يمكن أن تكون هى خطيئة المرء الدائمة التى تحدق به

وتهاجمه من جميع الجهات وتسيطر على حياته بشكل مطلق ، حتى أن المرء يستبعد الخطايا الأخرى التى يمكن أن تقف فى سبيل هذه الخطية وتعوقها ، كما يحدث مثلاً أن الجشع أو البخل يستبعد أحياناً الشراهة (أو البطنة) والشهوة .

فإذا كان ثمة إختلاف بين الخطايا ، فإنه يكون من الممكن أن نتكلم عن بعض أنواع من الخطايا ، تكون أردأ من خطايا أخرى . إنه ليس من المفيد كثيراً أن نحاول أن نصنف جميع أنواع الخطايا ، من الأقل رداءة إلى الأكثر رداءة . فهناك خطورة بأن هذا التصنيف سوف يقودنا إلى فكرة خاطئة ، فنعتقد أن بعض أنواع الخطايا تافهة وليست خطيرة . ولكن على أية حال ، فإن معظم الأخلاقيين المسيحيين قد إتفقوا عادة فى النظر إلى خطيئة الإعتداد بالنفس (الكبرياء) على أنها أسوأ الخطايا . إن الأخلاق التقليدية ، وكذلك الكثير من الأخلاقيين الحديثين ، ينظرون بلوم أكبر ويضعون فى مقدمة الخطايا ، بعض الخطايا الجسدية ، ويعاقبون عليها بالنبذ الفعلى لمرتكبيها . وهذا أمر يحصل على الأخص فى حالة الخطايا الجنسية ، ومن ناحية أخرى ، فإنهم لا ينظرون إلى الفخر كخطية ذات بال ، عندما لا تحمل أى نوع من الأذى والإزعاج للآخرين . وهذا أمر من الممكن فهمه ، إنه من السهل أن نستبين ونكتشف الأخطاء الجنسية ، أكثر مما نستبين خطيئة «الفخر» ، التى نتعلم منذ وقت مبكر ، كيف نخفيها حتى نسر الآخرين . كذلك أيضاً فإن إستخدام الدافع الجنسى يقود إلى نتائج مثل الزنى ، وهى خطية يرفضها المجتمع حرصاً على صحته وسلامته . بينما أن خطيئة الفخر (الزهو) كثيراً ما تدفع إلى جهد وإنجاز خلاق يفيد المجتمع .

على أن السيد المسيح ، أدان الخطايا الروحية بشدة أكثر من الخطايا الجسدية . وبلا شك فإنه لم ينظر إلى الخطايا الجسدية بخفة ، كما لو أنها تتبع كلية لحياة المرء الخاصة وأنها يجب أن تنظر من الآخرين بتسامح ، إنه فى الحقيقة ، أدان شهوة الزنى بالمثل كما أدان الزنى ،

ولكن الخطايا الجسدية ، بقدر ما هى مدمرة ومهلكة ، فإنها لا تضر ولا تفسد الإرادة الروحية الأخلاقية ، بقدر ما تفعل خطايا الإعتداد بالنفس (الكبرياء) والحسد والنفاق (المراءاة) .

وهكذا فإن السيد المسيح وضع العشار فى مقابل الفريسى ، ولكن لصالح العشار ، وكذلك وضع المرأة الخاطئة التى بلت قدميه بدموعها فى وضع أفضل من الفريسى الذى أظهر له القليل من المحبة عندما دخل إلى بيته .

كذلك شجب السيد المسيح المرائى الذى يعمل أعمالاً حسنة ويصلى صلاة طويلة من أجل أن يحصل على مدح الناس . وهكذا فإن الإعتداد بالنفس والمراءاة تظهر كأخطر الخطايا :

فأولاً : فإن الخطايا الروحية ، تعمى الناس وتقف فى طريق توبتهم . إن هؤلاء الذين يعتقدون فى قدرتهم الفائقة أو فى برهم المتفوق ، فإنهم لا يتواضعون أمام الله ولا يضعون ثقتهم فى رحمته . وحيث أنهم لا يشعرون بحاجتهم إلى الغفران ، فإنهم أيضاً لا يغفرون للآخرين . وإذ هم لا ينظرون أنفسهم أنهم تحت الحكم والإدانة ، فإنهم يدينون الآخرين ويحكمون عليهم . إن نقصهم فى المحبة يقودهم إلى عدم مراعاة مشاعر الآخرين أو صالحهم . إن مراءاتهم بطريقة غير شعورية ، غالباً يعمى العين الروحية فيهم ، فيسلكون على الدوام فى الظلام . إن التواضع أمر ضرورى ولازم للحياة الروحية ويقود الإنسان إلى أن يعرف خطيئته ويتوب عنها ، ويطلب نعمة الله ليتغلب عليها . وأما الإعتداد بالنفس فيقف حجر عثرة فى هذا السبيل ، إذ يقود الإنسان إلى الإحساس بالرضى عن النفس ، وبالتدريج يحطم الإنسان قابليته إماتة للطموح والنمو الأخلاقى .

وثانياً : فإن الإعتداد بالنفس هو أضر الخطايا جميعها بالنسبة لتأثيرها على الآخرين ، إن الخطايا الجسدية هى بالدرجة الأولى تضر الذين يقترفونها والذين يتأثرون بها بطريق مباشر ، مثال ذلك : شرب الخمر (السكر) يضر بصاحبه ويضر بالآخرين الذين يتأثرون

بمسلكه غير العاقل . وفعل الزنى يضر بصاحبه كما يضر بالأولاد الذين يمكن أن يولدوا نتيجة هذا الفعل . ولكن مهما كان الضرر الناتج عن إقتراف مثل هذه الخطايا ، فإنه لا يبلغ إلى الدرجة التى يبلغ إليها الضرر الناتج عن الإعتداد بالنفس أو الكبرياء . ذلك مما لا مناص منه ، فإن الإعتداد بالنفس يقود إلى الظلم وعدم العدالة . والظلم هو واحد من أعظم المصادر للخطية فى حياة البشر .

ويتضح هذا بالأكثر ، فى هذا الشكل من الإعتداد بالنفس الذى يسمى بإرادة القوة . إن هؤلاء الذين يتمتعون بالقوة ، يدعمون ويدافعون عن إمتيازاتهم ، على الرغم من أن ذلك ينتهى إلى فقر الآخرين وإعاقة حياتهم .

هؤلاء الذين يتوقون إلى القوة ، يناضلون ضد هؤلاء الذين يمتلكون القوة ، ويتمسكون بإمتيازاتهم الخاصة . وهكذا فإن إرادة القوة ، تقود من ناحية إلى عدم مراعاة شعور الآخرين وإلى ظلمهم ، ومن ناحية أخرى ، إلى الكراهية والنزاع . إن إستخدام القوة عند الدول ، وفى العنصرية العرقية ، وفى طبقات المجتمع ، يصير إلى أسوأ وإلى حلول غير عادلة بين المتنازعين ، فيتجه كل من الطرفين إلى المغالاة والإفراط فى تثبيت إستحقاقاته ومنافعه الخاصة . وفى هذه الحالة ، فإن كل طرف يبرر محاولاته فى السيطرة وإضطهاد ، بل وتحطيم أعضاء الجماعات الأخرى . وفى أيامنا الحاضرة ، فإن مثل هذه الإتجاهات تهدد الحضارة البشرية .

وعلى أية حال ، فإن الآثار المدمرة للإعتداد بالنفس ، فى حياة الآخرين ، يمكن فهمها بصورة أكمل ، عندما نأخذ فى إعتبارنا ، ليس فقط إرادة القوة ، ولكن أيضاً الصور الأخرى للإعتداد بالنفس . فالإعتداد الفكرى يقود إلى النظرة المطلقة للحقائق الجزئية وإلى عزل الفكر عن الحقائق الجديدة . إن زهو النفس وفخرها عند الإنسان المعاصر ، بما وصل إليه من معرفة عن العالم الطبيعى بواسطة المنهج العلمى ، قد أعمت عينه عن أهمية النظر فى الحقائق

والقيم الروحية ، وعن النظرة الحكيمة للعالم ككل . ثم إن الزهو الأخلاقى بالبر الذاتى - كما أشرنا سابقاً - هو عدو النمو الأخلاقى عند الأفراد ، وكذلك هو ضد التقدم الأخلاقى فى المجتمع . إن إحساس الإنسان بالفخر من جهة نفسه - سواء فى مجال الأخلاق أو فى أى مجال آخر - لا يدفع بالإنسان نحو طلب المزيد أو الشعور بما هو أفضل . وفوق كل هذا ، فإن الزهو الروحى فى جماعة متدينة ، يقود إلى التعصب ، والإضطهاد والحروب المقدسة . وهكذا فإن الزهو العقلى أو الأخلاقى أو الروحى ، يغلق الباب أمام التقدم ويولد التعصب والعنف فى أخطر صوره المدمرة .

وأما ثالثاً ، فإن الإعتداد بالنفس ، أو الزهو النفسى ، هو أصل لبعض ، إن لم يكن لكل الخطايا الأخرى . مثال ذلك ، فإن الترف (الرفاهية) غالباً ما يقصد إلى إستعراض القوة وإلى تعزيز النفوذ . والسكر ، يمكن أن يمارسه الشخص ، من أجل أن يحس بشىء من القوة والإهتمام الذى قد تنكره عليه الحياة العادية . والميل الجنسى هو فى حالات كثيرة ، وسيلة يسيطر بها شخص على شخص آخر . والإرتباط بين الحسد والغرور ، وبين الإعتداد بالنفس ، هو أمر واضح . وفى حالات كثيرة فإن الجشع (البخل - حب المال) هو فى خدمة الإعتداد بالنفس والزهو النفسى ، إذ يمد الإنسان بالوسائل ، لإستعراض التفوق على الآخرين .

ومن أجل جميع هذه الأسباب ، فإن الإعتداد بالنفس هو الأسوأ من كل الخطايا . إن الإنسان الذى يعتد بنفسه لن يقر بحاجته إلى الإتكال على الله ومسئوليته تجاهه ، لأنه إذا فعل ذلك ، فإن هذا معناه أنه ينظر إلى نفسه نظرة دونية . ومن ناحية أخرى فإن الإعتداد بالنفس يحطم العلاقة بين الشخص وبين الآخرين ، وبدلاً من أن يحب الإنسان قريبه كنفسه ، فإنه يحب نفسه ويسعى ليضع نفسه فوق الآخر . وبينما يرفض أن ينظر إلى نفسه نظرة تواضع إزاء الله ، فإنه لن يقبل أن يكون فى وضع متساوٍ مع البشر . وإذن فإنه من زاوية النظر الدينية الأخلاقية ، يمثل الإعتداد بالنفس أسوأ خطية . ولقد قيل إن خطية الشيطان كانت هى الكبرياء .

مطبوعات دار القديس يوحنا الحبيب للنشر

1-The Coptic Liturgy (of St. Basil)

الخولاجى المقدس انجليزى - قبطى - عربى (الترجمة الموحدة)

٢ ـ المدخل للعهد الجديد - للدكتور موريس تاوضروس .

٣ ـ عيد الميلاد المجيد ٢٥ ديسمبر أم ٧ يناير .

٤ ـ أيـن يـولد المسيح - للقديس يوحنا فم الذهب .

٥ ـ السموات قد انفتحت - للقديس يوحنا فم الذهب .

٦ ـ السـامـريـه - للقديس يوحنا فم الذهب .

٧ ـ أورشليم مدينة الملك العظيم .

٨ ـ القـيامـة - للقديس يوحنا فم الذهب .

٩ ـ إعلانات الله للبشر .

١٠ ـ شخصيات الكتاب المقدس للعهد القديم للقمص شاروبيم يعقوب

١١ـ النشيد المنعش للقمص/ بيشوى عبد المسيح بالزقازيق .

١٢ـ الخطيئة الأصلية والخطايا الفعلية د. موريس تاوضروس .

تحت الطبع

١ ـ تفـسـيـر العـهـد الجـديد للقديس يوحنا فم الذهب (أجزاء) .

٢ ـ تفـسـيـر المزامـيـر للقديس أوغسطينوس .

٣ ـ شخصيات الكتاب المقدس للعهد الجديد للقمص شاروبيم يعقوب

٤ ـ أورشـليـم .... الـقـدس





هذا الكتاب يتناول الحديث عن الخطيئة الأصلية من حيث حقيقتها وجوهرها والنتائج المترتبة عليها ، ويقدم أمثلة عديدة من أقوال الآباء عن عمومية الخطيئة الأصلية وآثارها السيئة على الجنس البشرى . ويشير إلى الإختلاف فى مفهوم الخطيئة الأصلية بين الكنائس البروتستانتية والكاثوليكية والروم الأورثوذكس والكنيسة القبطية الأرثوذكسية .

وفى فصل مستقل يتناول الحديث عن الخطايا الفعلية ، فيتعرض للحديث عن مفهوم الخطيئة بوجه عام ، وخصائصها الأساسية وطبيعتها وأسبابها وإغراءاتها وتنوعها والتمييز بين الخطايا الروحية والخطايا الجسدية .

يطلب من :
مكتبة الرجاء
١٨٦ ش النزهة - سانت فاتيما - ت : ٢٤٤٥٧٧٤
والمكتبات المسيحية الأخرى



السعر ٣٥٠ قرش